نصوص

تُصبِحُون.. عَلى حُب

دار الجندي للنشر والتوزيع

جمعة سعيد السّمّان

تصبحون على حب

(نصوص)

الطبعة الأولى (2013)

دار الجندي للنشر والتّوزيع

القدس

00972542263454

E.mail:info@aljundi.biz

www.aljundi.biz

جميع حقوق الطّبع محفوظة

صورة الغلاف

الفنان علاء البابا

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، بأي شكل من الأشكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any means without prior permission of the publisher.

جمعة سعيد السّمان

تُصبِحُون.. عَلى حُب.

نصوص

دار الجندي للنشر والتوزيع

الفهرس

صغيرة على الحب.	9
ساعة غروب.	11
طفلة تستفز ذاكرة عجوز.	12
يوم عبوس غاضب.	14
مزهريّة الورد.	15
بنات هالأيام.	18
باع نفسه بدولار.	20
للحب دمعة قهر.	24
ودوّت صافرة القطار.	27
طلّقتها.	30
طنجرة الموت.	33
صائدة الرجال.	36
لا تنس نفسك فتتيه.	37
هل القمر بخيل؟	40
امبراطور.. وليس مديراً.	41
لص وليس حبيبا.	43
تصبحون على حب.. وليس على استعباد حب	46
عش الحمام.	48

جارتي بارك الله بها.	49
أرجيلة جدي.	50
دمعة عصفور.	51
مغرورة.	53
اللي بتحب النّبي تزغرد.	54
بئر كوكب الأرض.	57
ذكريات عجوز.	59
عينك عدوّك.. لا تأتمنها على سرّك.	61
تاه الميزان.. هل حقا هذا حرام؟	62
الكذب لسان الشّيطان.	64
ما أصعب الاختيار!!	67
وطال الإنتظار.	69
السّمكة وخاتم سليمان.	71
تاه القمر.. وأظلمت السّماء.	73
ترى.. هل فهمتني الآن؟؟	75
حلم عصفورة.	76
سأعود وألبس حذائي الجديد.	77
الوحش أسد.. والفريسة غزل.	79
احرس مكر الفقير.	80
سرقت قوس كيوبيد.	82

عودة الكابوس.	84
غفت عين رجولته.	86
صخرة الانتحار.	90
عالأصل دوّر.	96
من خرايف زمان.	98
شيطان البحر.	101
المرأة الشّيطان.	103
معقول..!!!	106
ما أرخص الرّشوة .. إذا كانت بسمة وفنجان قهوة.	109
عتاب عاشق.	111
ليلة لا تُنسى.	112
دواة حبرها دمع.	115
مظلّة .. وزخّات مطر.	117
نهاية قنّاص.	119
حلم طفلة.	123
غفت عين القمر...خافت النجمات	124
وياه .. يا هالدّنيا!!!	126
دجاجتان وديك.	129
زنّة لسان.	131
شبّاك الجارة.	135

عباءة جدّي.	138
عزيزي القبطان.	142
من أدب الفيسبوك.	145
لا حول ولا قوّة إلا بالله.	146
هل تعلم..؟!	147
وتبخّر العلم.	148
كفى أيها الزعيم.	149
ساحة الأدب.	151
الله يرحم من بكّاني.	152
عرس في السّماء.	153

«صغيرة على الحب»

قالت والدمع يطفح من عينيها

قل إنك تحبني.. قل إنّك تعشقني

قل إنّني أنا.. أنا الوجود.. والفناء بعدي

الحب يطفح من قلبي.. ويلمع في عيني

كما تلمع حبّة النّدى في عين الشّمس

الحب في قلبي قمر.. وقبلة عاشق.. وتنهيدة فجر

قل إنك تحبني.. ويذوب سواد الليل

وتطلّ عين الشّمس

***

الحب صغيرتي.. ليس يداً تمتد.. أو دمعة عينٍ

الحب دفقات موج بحر.. يحطّم المركب

لا نجاة .. الجميع غارق

الحب صغيرتي حصان جامح.. كفر باللجام

وطوى الميدان.. أو فوز ساحق

صغيرةٌ على الحبِّ أنتِ

غدا يكبر الحب.. يتمطّى عملاقا

يحطّم القيد.. ويقتحم الصّدر عنوة

يبحث عن الحبيب بين شغاف القلب

هذا هو الحب صغيرتي

لا توسّلَ.. ولا دموع

قوة.. جبروت.. صمود

حرب.. أكون.. أو لا أكون.

ساعة غروب

شاطئ وبحر وخيال طفل .. قال الصغير والصوت حزين..حين كانت الشمس تتكئ على صفحة ماء البحر ساعة الغروب.. ماذا لو أن الشمس تغرق في البحر ولا تعود.. ويستولي الظلام على الكون.. ونعيش عتمة الكون مع قمر ونجمات تأخذ منهما العتمة خيوط النور.. ولا يصلنا منهما سوى القليل؟! عندها سأحزن حين لا أرى لون عينيك.. والجّديلة تذوب في سواد الليل.. وتتوه يدي عن يدك ونضلّ الطّريق.

قالت وفي الصوت لهجة تسكب الطمأنينة في قلب الصديق: لا.. لاتخف ستعود الشمس مع الشروق.. إن لها في البعيد البعيد.. وراء البحر بيتاً تأوي إليه.. تنام كما ننام.. وتصحو مع الشروق كما نصحو.. تنشر نورها على البحر والشاطئ.. ليبقى لون البحر أزرق.. والرمل اصفر.. وعيوني أجمل.. ولا يبقى من الليل سوى لون جديلتي الأسود.

طفلة تستفز ذاكرة عجوز

تسألين.. وتسألين.. وتسألين

ببراءة الأطفال يا صغيرتي تسألين

آه.. آه لو أنك تدرين..؟!!

لو تعلمين.. أنك الآن بسكين تطعنين

لو تعلمين.. أنك الآن ناراً على الجرح تسكبين

لو تعلمين أنك الان حربا داخلي تشعلين..

لو تعلمين.. أنني بركان هامد

اشتعلت فيه نار الحب سنينا وسنينا

قصتي

لماذا أنا حزين..؟!!

يا برعما ناعما في إبريل

إنه لشئ كثير عليك كثير

أن تسمعي قصة رجل قلّبته الدنيا على نار جمرها

حتى بات كالعرجون القديم

هي جميلة

سبحان من شكّل التكوين.

قالت.. الروح لك.. الحب لك

تمتّع.. أنا البستان.. هديّة لك من رب العالمين

نمت..حلمت.. استيقظت... ناديت

هرب صوتي خارج البيت عاليا ملهوفا يسأل

لكنّه عاد مع الجارة خافتاً ذليلاً

هرب العصفور من القفص ونال التحرير

أنت الآن حب قديم

رأتهما رَأيَ العين يطيران بجناح حب

كان بينهما حب قديم..

آه يا مسكين

كم قلبي لك حزين..

يوم عبوس غاضب

هل رأيت فأرا بين براثن قط يتسلّى ويتلذّذ..؟؟ هكذا كانت السفينة بين جبال الموج.. وأودية قعر البحر تتعذّب.. في شتاء يوم عبوس غاضب ماطر.. كانت على شاطئ البحر عيون قلقة ترقب.. وآذان مرهفة تسمع.. وقلوب خائفة خاشعة تسأل وتتضرّع.. من استفزّك يا بحر..؟!! من يحمل سلسلة جبال هذا الموج يتعالى.. يصل حدّ عنان السّماء يتحدّى..؟!! رذاذ يملأ وجه القمر.. والنّجمات أغمضت عيونها ابتلعت نورها.. خيوطا تداخلت وتشابكت.. عقدا لا تفك ولا تتحلّل.. أهي شياطين الجنّ..؟!! لا.. إنّهم في زوايا ظلمة الكون عيون يلمع فيها ضوء البرق.. وصوت دعاء لله خائفا يتضرع ويتوسّل.. برق يشعل السّماء.. ورعد يزلزل الأرض.. وريح تركض.. تجلد الموج.. والموج على سطح البحر جبال تركض..الى أين ..؟؟ لا تدري.

الضباب احتل سطح البحر.. والعين باتت لا تنفع ولا تشفع.. ماذا يخيفك يا بحر؟! البرق وأنت الماء؟!! النار عند قدميك تموت.. وحرّها نار إبراهيم لا تحرق ولا تلسع.. أهو صوت الرعد؟! كيف وأنت الموج!! إن سكن كل شئ فأنت الهدير.. موجك من طرف شاطئ الدنيا البعيد.. الى طرف الشاطئ الدنيا الآخر.. تذوب فيه أصوات الكون.. ولا صوت سوى صوت ملاك صغير يصلّي ويترحّم.. ودمعة جعلت البحر مالحاً أكثر.. على سفينة في قعر الوادي بين جبلي موجك تستغيث.. والرحمة في قلبك سمك قرش منك القسوة تعلّم.

مضى الليل.. وطلّت الشّمس حزينة على الشاطئ.. وليس سوى شراع ممزّق وبقايا قلاع.

مزهرية الورد

فتاة صغيرة.. ذات جدائل طويلة وحقيبة.. لها كبرياء حصان.. وخطوات غزال. لم تداعب أنامل العشق قلبها بعد.. ولم يسعدها حب.. ولم يتعسها عشق.. تنام ملء العين.. لا أرق.. ولا انشغال بال.. ولا سوء حال.

يتبعها فتى في مثل عمرها.. غرّد لها من أشعار نزار.. وأبدع في تلحين الكلام.. وكان فنّانا.. صدّته وكان قد غزا خدّيها احمرار.. لكن الكلام ظلّ منقوشا على جدار القلب.. تهرب إليه العين.. ويغمض عليه الرمش.. وتعيش أجمل الأحلام. تجرأ ذات يوم وتقدّم منها يحمل وردة حمراء.. قبّل الوردة وقدّمها لها.. ولكنها ارتبكت.. رفضتها وكان الخجل والحياء لها عدوين.. واصلت الدّرب والندم يأكلها. ليتها شمّت الوردة.. ونعمت بأريج عطرها.. أو سمعت ما في جعبة قلبه من كلام.. ولامت نفسها.. حين كانت ردة فعلها فظّة.. والكلام لا يستحقه حامل وردة.. جاء يقدّم آيات حب وإخلاص وولاء. طال الليل .. وما تغيّر.. أو تبدّل السؤال.. ترى لو عاد الفتى وقدّم لها الوردة.. هل ستأخذها.. وتسمع منه ما جمعٍ لها في جعبة القلب من كلام..؟؟ أذّن الفجر.. وما حصلت على جواب..

وقف العقل على شاطئ النفس صادا مانعا..

تنتهي عند قدميه موج بحر القلب غاضبا هادرا.. يعذّبه الغرام. فتنها جمال الوردة الحمراء.. وكان للوردة فم ولسان.. قالت كلاما لم تسمع مثله كلاما.. حملها الى دنيا غير هذه الدنيا.. تعيش أحلام السعادة.. تختال كالطاووس في عالم الأحلام والخيال.

مرت الأيام يوجع قلب الفتى صدّها وقاسي الكلام.. فابتعد حذرا.. يحافظ على كرامته والإحترام.

كانت تمشي الفتاة.. وعيونها تتلفت يمينا وشمالا.. كانت خطواته خلفها.. تدخل في القلب الأمان.. ما أشقى القلب إذا ما ابتعد عنه الأحباب والخلاّن. أوجع الفراق قلب الفتى.. وبات القلبان قي عذاب الحب نارا.. الى أن تغلّب الشوق.. وتجرأ الفتى يمشي الى جوارها خطوات.. انطلقت فرحة من القلب.. وتجلّت في عينيها أجمل نظرات الحب والهيام. فرح الفتى وعاد يورق الأمل في نفسه.. ومضى نهاره يجوب البساتين.. حتى قطف أجمل وردة حمراء.. وكذلك مضى الليل يختار أجمل كلمات الحب والعشق.. يكتبها رسالة.. وما بقي له سوى الشجاعة.. تكسر الحواجز.. ليلتقيا حبيبة وحبيب. مشت الفتاة ومشى الفتى بجوارها.. رأت الوردة في يد فتاها.. خفق قلبها.. ورمته بنظرة قبول.. فتغلّبت الشجاعة.. وأخذت الفتاة الوردة والرّسالة. ثم واصلت الدرب الى بيتها.. يعذّبها تأخر سواد الليل.. حتى تدخل الغرفة تدّعي النعاس وتقفل الباب على نفسها.

كان للوردة جناح.. وللرسالة جناح.. طارا بها الى عوالم أفرحت القلب وحجبت النعاس عن العين.. حتى أشرق الصّباح.. وطلّت فراشة من الشباك تسأل عن وردة كانت في بستان آخر.. غير بستان فرحة قلبها. واستمر الحال على هذا المنوال ورد ورسائل.. ولقاءات في بساتين العشق.. الى أن كبر الفتى والفتاة.. وكان الوفاء والإخلاص إكليل حبهما.. فتقدم الفتى للفتاة عريسا.. وفرح الحبيبان بلمّ الشمل.. والبيت الحلم.. الذي تحقّق وأصبح العش الذي يجمعهما. مرت الأيام والشمس بالدفء تبارك حبهما.. وقمر الليل يطلّ من الشباك يؤنس فرحة الحب والعشق في قلبيهما.

ولكن ما أن اطمأن الزوج.. وتأكد من حبّه في قلب الحبيبة حتى طمع.. وأخذ يبحث عن حب آخر.. يعزّز به رجولته.. وسيادته وعنفوانه.. شعرت الزوجة وتكدّرت.. وعاتبته عتاب الحبيب للحبيب.. لكنه ظلم وافترى.. وطال لسانه.. وعندما اشتد الخلاف طالت يده.. حزن الحب وانزوى بعيدا عن قلبيهما.. وما عادت تطلّ عليهما شمس الصّباح رفيقة عمرهما.. ولا قمر الليل الذي كان يؤنس فرحة قلبيهما.. ولا عادت تطلّ الفراشة.. تسأل عن وردة حمراء تعشق لونها.. وأريج عطرها. ذات ليلة دخل الزّوج يضع في فمه لسان غراب.. يزفّ خبر زواجه من أخرى. ما اعترضت الزّوجة ولا دمعت عينها.. ذهبت الى خزانة أسرارها.. جمعت الرّسائل وما قدّم لها من ورد.. وكانت قد جفّفتّه الأيام.. وضعتهم على سريره.. وعادت الى بيت أبيها.. وبعدها ما ألقت تحيّة الى رجل.. وما قرأت رسالة حب.. أو غرام.. وكانت قد كسرت مزهريّة الورد قبل خروجها.

بنات هالأيّام

مولودة جاءت الى هذه الدّنيا تحمل معها الجمال والذكاء والقبول.. أحبّها الأب والأم.. وميّزاها عن باقي الأخوة والأخوات.. لها المحبّة والدّلال.. والطّلب لا يؤخّر.. فوراً يجاب.

كيف لا وقد كانت الأولى في جميع مراحل دراستها.. علما ونشاطا وحضورا.

كانت الطالبة المثالية تفخر بها المدرسة.. أساتذة ومديرة وطلابا.. كرّموها وقدّموا لها هدايا التقدير والإحترام.. أنهت الدّراسة الثانوية.. وحصلت على أعلى الدّرجات.

فكّر الأب وكان فقيرا مستور الحال.. الرّزق يوم بيوم.. والقناعة كنز.. مثل يداوي به النّفس عندما يضيق به الحال.. وتتعثّر الأحوال.

تحمّست الأم وخلعت من عنقها عقدا ذهبيا عزيزا على قلبها.. كان هديّة عرسها.. جاء مع ثورة المراهقة والأحلام.. حيث أنها كانت في العمر صغيرة.. تتباهى به أمام الأصدقاء والخلّان.. وخلعت من يديها أربعة أساور ذهبية أيضا وقدّمتها للأب فرحة: تصرف بهذا الذهب..وادعمه بما تقدر عليه من مال.. نرسل البنيّة الى أمريكا.. تكمل تعليمها.. وتعود لنا بإذن الله عالمة نفخر ونكبر بها وبعلمها.. فيصبح لنا في أوساط المدينة شأن ومكان.

اجتهد الأب .. وطرق أبواب الأهل والأصحاب.. حتى جمع لها المال الكافي.. وأمّن لها تذكرة السفر.

كان الوداع صعبا.. دموع وأمنيات ودعاء.

سافرت البنيّة الى أمريكا.. وكان النّجاح حليفها.

عادت الفتاة ومعها العلم أعلى الدرجات.. وبالمقابل عادت ومعها درجات الغطرسة والكبر والإنحلال.. اشمأزت وأنكرت على أمها الجهل والتّخلف.. وتكبّرت تنظر لأبيها نظرات الرجعيّة والتأخر.. نسيت الأصول.. وعادت تتأبط ذراع الصديق.. والإنطلاق والحرية خزيّ وعار يخجل منه مجتمع محافظ عريق.

نهاها الأب وخجلت من تصرفاتها الأم.. واشتكت منها العائلة.. ولكنها كانت تنظر الى الجميع نظرة العالم المغرور الى المتأخّر الجاهل.

ضاق بها العيش في مدينتها.. وتكرّرت نصائح الأب.. وتوجيهات الأم.. وانتقاد الأهل وتعليقات أهل الحيّ.. فضاقت ذرعا بالجميع.. لا سهر ولا حرية ولا انطلاق.. الكلمة لها وزن.. والضّحكة يحسب لها ألف حساب.. كفرت بالأهل والأسرة والجار.. والتقاليد والعادات التي تتدخّل في حياتها.. وتراقب خطواتها.. وأعلنتها صراحة.. ''الحياة معكم صعبة لا تطاق''.. وعادت الى أمريكا.. حيث اعتادت السّهر والإنفلات والإنطلاق,

مضت السنوات.. غبّت البنيّة من السهر واللهو والإنفلات والإستهتار.. ما أصابها بمرض الإيدز.. عندها أخذت تسأل عن حضن الأم وجناح الأب.. ومسئولية الأسرة.. أين الصّديق؟ أين الرفيق؟ أين من كان يدّعي أنه حبيب؟؟ تلفتت حولها.. نادت وما سمعت سوى صوت صدى ندائها.. أمسكت بقلم وورقة:

– أبي أمي أخوتي أخواتي.. أنا مريضة.. إذا عدت هل أجد لنفسي مكانا بين الأسرة..؟؟

باع نفسه بدولار

وقف أمام الباب عجوزا يلهث.. متقطّع الأنفاس.. طرق الباب بعصاه عدة طرقات.. ردّ صوت منهك تعب أخذ الزّمان منه قواه.. وليس سوى همس متقطّع الكلمات:

– من.. من..؟؟

– جار قديم يا وردة.

أخذت تحدّث نفسها وفي الصّوت عجب واستغراب.. والخطوات أرجل سلحفاة.

من هذا الذي جاء من وراء الزمان.. يقول أنه جاراً.. والجيران هجروا الدّيار منذ أعوام وأعوام. كان في الصوت خوف.. والحديث من خلف الباب:

كيف تكون لي جاراً.. وقد هاجر جميع الجيران والأهل والخلاّن..

وقد عشنا أنا والزمان السّنين الطّوال.. الزّمان يئن من ثقل السّنين.. وأنا هيكل تعشّش فيه الرّوح.. لا تعرف طريقا تصل بها الى السّماء.

قال العجوز منزعجا يعرّف على نفسه:

– أنا راكان .. رجعت من أمريكا.. ما تعرّف عليّ أحد .. حتى ولا المختار..

أنا خطيبك يا وردة.. افتحي الباب.. تأكّدي.. علّ الذّاكرة تعود بك الى تلك الأيّام..

فتحت وردة الباب قرّبت وجهها من وجهه تتأكد.. ثم أقفلت الباب.

قالت: انتظر حتى أستعين بنظارتي فالوجه خيال.

وضعت النّظارة على عينيها.. وعادت تفتح الباب.. تنظر الى الوجه بإمعان..

تنهدت.. ياه يا هالزّمان كيف تعبث بالوجوه وتغيّر الأشكال..

ثم واصلت الحديث وفي صوتها شك:

ما الذي يؤكد لي أنّك راكان ولست محتال.. فالزمن غدّار ليس له أمان..

– اذهب في طريقك يا أخي.. اندمل الجرح.. وما عاد في الشّرايين دم ينزف..

ولا في العين دمعة بعد أن هاجر الأهل والأحباب والخلاّن.

قال وفي الصوت رجاء:

مه– لا يا وردة معي الدّليل.

دخل القلب فرحة.. وطمأنينة وراحة بال:

– هات دليلك يا راكان.

خلع الخاتم من اصبعه:

– أنظري الى داخله.. تقرئين (وردة راكان).

أخذت الخاتم وعادت تقفل الباب:

– انتظر يا ضيف الرّحمن.

ذهبت تعبث وتقلّب التاريخ في صفحات زمان..

صندوق قديم يحوي ذكريات عمرها الطويل المديد..

غاصت يدها بالصندوق.. وخرجت بخاتم آخر..

محفور عليه نفس النقش.. (وردة وراكان).

فتحت الباب:

- صدقت أنت راكان.. لكن ماذا تريد الآن ..؟؟

- عندما ضاق بي الحال.. سحبت يدي من يد مدينتي وأمسكت بيد الدّنيا..

جابت بي الكون.. جبالا ووهادا وسهولا.. دخلت بي بحاراً تحملني على ظهر موج بحر.. وتحطّني على موج محيط.. وصعدت بي الى أعلى سماء.. تحطّني على قمر.. وتنقلني الى نجم.. ثم تتنقل بي بين المجرّات.

رأيت من الدّنيا الكثير.. وعدت ومعي المال الكثير.. ما وجدت مثل مدينتي.. وأرض وطني مثيلاً.

وردة.. أريد أن أعمّر أرضي.. أريد أن أرى لشجر الزيتون ظلالاً كبيرة.. وأقطف عنه غلّة وفيرة.. أريد أن تكون أرضي مثل أرضك.. وشجر زيتوني مثل شجر زيتونك.. أريد عندما أموت أن أحضن عظام أبي وأجدادي.. فتراب أرضنا حنون.

ضحكت ملء شدقيها.. وما ظهر في فمها أسنان:

- بخلت على أرضك بشبابك.. وجئت اليوم تثقل عليها بعقوقك.. وثقل وزنك وخطواتك.

ما زلت تعيش الأحلام يا راكان.. في شبابك حلمت وطمعت تجمع المال.. وتعيش مباهج الحياة..

واليوم تحلم أن تعود شابا تعمّر الأرض والديار..«قل للزّمان ارجع يا زمان».

ردّت له الخاتم..وأقفلت الباب.. وقالت تهزّ رأسها حسرة:

– عد من حيث أتيت راكان..

إن غفر لك قلبي.. فلن تغفر لك الأرض هذا العقوق والنّكران.

للحب.. دمعة قهر

ابنة عمه تصغره بأيام.. يعيشان في بيت واحد.. فالأخوان شقيقان.. لها جديلة شقراء وغرة تتباهى بها.. وتزيد من جمالها جمالاً.. وأربعة أسنان حادّات.. اثنان في الفك العلوي..والآخران في الفك السّفلي.. يخافهما ابن العم.. ودائما يشتكي من عضّ يؤذيه .. ويترك على جسده بقعا زرقاء في كل مكان.

هذه الأسنان الأربعة.. وعصبيّة الصغيرة.. وعلوّ صوتها.. وسرعة غضبها.. يدعمها جمالها ومحبة الجميع لها.. أدخلت الرعب في قلب ابن العم الصغير.. تأمره فيطيع.. وتصرخ في وجهه.. فيذرف الدّمع غزيراً.

كانت تحرّم عليه متعة لعبة يلعب بها.. مجرد أن تقبل عليه.. وتقترب منه.. وترميه بنظرة شرّ.. وتفتر شفتاها عن أسنان تلمع.. فهذا كفيل أن تنهي مقاومته.. ويقدم لها ألعابه هدية.. هي تلعب.. وعين المسكين تتحسّر.. وكلما اقترب يحاول أن يشاركها اللعب.. كانت تصرخ في وجهه.. فيهرب ليحتمي بصدر أمه.. ودموع القهر تنساب على خدّه.

ألف حياة الرّعب مع ابنة عمّه مستسلما.. ملبيا جميع طلباتها.. المشكلة أنّه يحبّها ولا يستطيع الإبتعاد عنها.

كبر الاثنان معا وذهبا الى الروضة.. فكانت الحامي والحرامي.. تحميه من زملاء العنف والشقاوة.. ولكنها بالمقابل كانت تستولي على طعامه.. وما تحويه حقيبته من حلوى وما في جيبه من قروش.. تشتري من ماله ما تشتهيه

نفسها.. ويقف المسكين مع الحسرة.. والعين مليئة بالإشتهاء.

كبرا سنينا ودخلا سن المراهقة.. وما تغير الحال.. القيادة والقرار لها.

دخلا الجامعة.. فكان لنشاطها.. وقوة شخصيّتها.. وإقدامها على ميادين العمل الجامعي كل تقدير واحترام.

تخرّجا من الجامعة.. تقدم الشاب لخطبة ابن عمه.. فرفضته بحجّة عدم الكفاءة وضعف الشخصية.. وتزوجت من قبطان يجوب البحار على مركب.

ضاقت الدنيا في وجه ابن العم.. هاجر الى أمريكا يكمل دراسته.. أبدع وفاز بالنّجاح.

أما القبطان.. فبعد سنتين من زواجه.. تآمر عليه البحر.. رفع موجه.. وأوغر صدر العاصفة عليه.. فهبّت العاصفة إعصارا.. مزّقت الشراع.. وقصفت الصّاري.. وأصبح المركب عاريا.. حملت الزوبعة المركبة حدّ السماء.. وهوت به الى قعر البحر.. فاستشهد القبطان.. كل من رافقه على ظهر المركب.

أما ابن العم.. فعاد الى البلاد.. وقد أخذ من الغربة الخبرة والتجربة.. وشخصية المسئول والرأي الموزون.. ليحتل منصبا مرموقا في أحدى أجهزة الدولة.

وعاد يلبي لهفة قلبه.. ويطلب يد ابنة عمّه.

اتفقا وتم الزواج.. إلا أن الرجل تغيّر.. وسبحان مغيّر الأحوال.

نظرت الى عينيه.. فكان فيهما جبروت الرجال.. سمعت حديثه..

فكان لمنطقه أوزان وأثقال.. نظرت الى الوجه.. عبوس وشدة يُحسب لها حساب.

مرت الأيام.. إذا بها أمام زوج..لَهُ شدة وهيبة.. وتسلط وكأنه الحقد والإنتقام.

أذعنت للأمر حرصا على سلامة البيت.. وأملا قي مستقبل تتغيّر فيه الأحوال.

إلا أن الأمور تطورت.. حيث طالت اليد.. الضرب مبرّح.. والغريب أن الضرب لم يكن ليشفي غلّه.. فكان يتبع الضرب بالعضّ.. يدمي جسدها بحاد الأسنان.

ضاق صدرها بحياة الذل والمهانة..فطلبت الطلاق وحازت عليه..

استيقظ الرجل من غفوته.. اشتدت عليه الوحدة.. تسلطت عليه عقدة الطفولة.. هو دونها الضعيف الضائع التائه.. حَمَلٌ تأكله الذئاب.. فعاد إليها يتوسل.. حتى عادت الى بيت الزوجية. ولكن كان في الصدر انتقام حرّة.. تسلط عليها ظالم جبّار.

منذ اليوم الأول عادت الى بيتها ومعها شخصيتها التي كانت تسيطر فيها عليه فترة طفولتها..

أما هو فقد استعذب السلطة والضرب والعضّ والسيطرة.. وقد حاول أن يجعلها نهج حياة إلا أنها تصدّت له.. وعلا صوتها.. صوت واثق قادر جبار.. ردّت له الإهانة.. وعادت تهجم عليه..تضرب وتنشب أسنانها في لحمه.

فتأوه واستسلم.. وانتهى الخصام.. هدأ.. وخفت صوته.. وذهبت نظرة الشراسة من عينيه. وتبدّلت الخشونة بالنعومة.. وساد البيت هدوء وسلام.

ودوّت صافرة القطار

دوت صافرة القطار.. انتشر الصّوت في الفضاء.. ملأ الجو حزنا ودخل القلب حسرات..

وبدأت العين تذرف الدمع قطرات.. الأيدي متصافحات.. والشفاه متعانقات.. والتنهدات تتدفّق من القلب موجعات.. وكلمات تبعد الشّفة عن الشّفة.. فالحب رسائل من القلب.. وعشق الروح لا ترويه قبلات.. إنما كل ما في الحبيب له امتلاك.. ارتفعت الشفة عن الشفة.. لكن الأيدي ما زالت متصافحات.

بدأت عجلات القطار تدور ولكن.. آآآه منك يا زمن.. من يستطيع أن يوقف لك عجلات.. ؟؟

ذهب الحبيب الى أمريكا يدرس.. ويرتقي بالعلم درجات.. وبقيت الحبيبة مع الصبر والعين ترقب عقارب السّاعات.

مرّت سنة وأخرى.. وانتهت بعثة الحبيب.. الطائرة تحلّق في السماء.. هي ساعات وأرتدي الفستان الأبيض.. والقمر في سمائه يضحك.. وترقص النجمات.. ويضمّنا بيت الأحلام والفرحة تفيض على الحيّ.. وتزغرد الجارات.

نزل الحبيب عن سلم الطائرة.. وليته ما عاد.. يتأبّط ذراع فتاة شقراء.. اليد باليد..والضحكة أعلى من أزيز الطائرات.. واللغة تسقط من على اللسان كسرا وفتاتا لا أصالة.. ولا تاريخا.. ولا دما عربيا حرا له حرارة بركان.. إنّما هو الإعجاب برخيصة شقراء.. لها على طاولات الخمر رقصات.. وأغنيات ساقطات.. والضحكة لها فحش الفاجرات.

انفجر الصّبر من الصّدر.. حقير.. غربلت القمح وعدت بالزيوان.

مرّت أيام إذا في أهل الحيّ غضب وثورة بركان.. يغيب الزوج.. والعشيق.. يحتل الدار.

ثار بقايا دم عربي حرّ في الشريان.. طلّقها.. وأهل الحيّ شهود.. لكن هل نال الغفران..أو رفع عن نفسه ذلا أوعارا..؟! فمبدأ بني قحطان ما زال " النار ولا العار".

عاد الشاب الى حبيبته الأولى يتوسل ويتودّد.. حين ظنّ أنه استرجع الحب.. وتربّع في حضن القلب.. هي أيام ويتوج هذا الحب بالزواج.. ويسكن بيت الشرف والعزّة والأمان.

لكنها اشترطت عليه أن لا زواج قبل أن تأخذ فرصتها في بعثة حصلت عليها الى أمريكا.. مدّتها سنة.. وانطلق اللسان بالدّلال وأجمل الكلام:

– قليل من الصّبر حبيبي..أرتقي ونصبح أنا وأنت بالدرجة العلميّة سواءًا.. وعلى هذا تمّ الإتفاق.. صعدت الى القطار.. وانطلقت صافرة الوداع.. ولكن ما كان للشفاه عناق.. ولا في المصافحة حرارة.. ولا حسرة على فراق.. فالجرح

ما زال ينزّ حقدا.. وعين الكرامة أرقة.

دارت عجلات القطار.. وأصاب عجلات الزمن ذهول..

مضت الأيام.. والإنتظار يأكل قلب الحبيب.. فكان بعد كتابة كل رسالة.. يعصر عين الصّبر.. يذيّل بها الرسالة.. دليل الحب والشوق..

الى أن استلمت منه ذات يوم رسالة بلّلها دمع الحب والشوق.. وحرقة في القلب.فأرسلت له رسالة:

-أيها الصّديق.. ألا تبارك لي بجنين يسكن الرحم. ؟؟

طلّقتها...؟؟

قط صغير جميل.. أغلب الظّن أنّه تائه عن أمّه.. تبعني وفي صوته توسّل التائه الضّائع الجائعفأشفق عليه قلبي.. حملته الى أمي.. عطفت عليه.. لكنها حذّرتني.. هذا ما زال رضيعا.. يموت

دون ثدي أمه.. لكن أين نجد أمه..؟!! فلم نجد بدّا من أن نتعامل معه كما نتعامل مع الرضّع الذين يرفضون ثدي الأم.. كان جائعا فأخذ يلتهم الحليب من (البيرونة) بشراهة.. فنمى وترعرع قويا صحيح البدن.. جميل المنظر.. وقد سرّنا أنه ذات يوم قتل أفعى في حديقة بيتنا.. كان بالإمكان لا سمح الله أن تلدغ أحدنا.. إلا أنه ذات يوم أيضا استغفل أمي وسرق عدّة قطع من اللحم .. كانت قد أعدتها لإكرام ضيف.. فأحرجنا ..أقسمت أن أتخلّص من ذلك القط الخائن الغادر الناكر للجميل.

فأخذته الى مدينة بعيدة وتركته هناك.. إلا أنه بعد أسبوعين.. عندما خرجت من البيت.. إذا بي أجده أمامي.. أخذ يمسح فروه ببنطالي..ولا تفسير لصوته.. تصورته عتاباً.. حزناً.. شوقاً.. مزيجاً من كل ذلك .. كنت أتمنّى لو أنني أفهم لغته.. لكنني طردته وأقفلت الباب خلفي.

واستعضت عنه بكلب صغير كان هدية من صديق.. وقد سرّنا أنه كلب أمين وفيّ حين أمسك بلصّ حاول أن يدخل البيت من أحد الشّبابيك.. فزاد حبنا له.

إلا أنه ذات يوم وبينما كنت أطعمه.. واللحم كثير أمامه.. جاء كلب صغير كان قد اشتم رائحة اللحم..

فوقف ذليلا خائفا جائعا.. في عينيه توسّل.. وفي صوته استجداء.. مددت يدي آخذ قطعة لحم من أمامه لأطعم الكلب الصغير..إذا به يزمجر مكشرا عن أنيابه يعضّ يدي.. آلمني وشعرت أنه خائن.. لا أمان له.. فحملته وألقيت به في مدينة بعيدة كما فعلت مع القط.. إلا أنني بعد مدّة عندما خرجت من باب المنزل.. إذا به يقف أمام باب البيت.. ما أن رآني حتى أخذ يمسح فروه ببنطالي.. وله صوت حزين.. شعرت أن فيه ندماً واعتذاراً..لكن لم أشفق عليه ولم يحنّ له قلبي.

مرّت أيام تصاحب فيها القط والكلب.. دائما يقفان أمام باب البيت.. يتمسحان ببنطالي كلما دخلت أو خرجت من البيت.. يتمشيان معي حتى أصل سيارتي.

الى أن ألحّت أمي عليّ ذات يوم بالزواج.. فكان لي شرط.. أن تزوجني من فتاة طيبة خلوق.. لم (يبس) فمها سوى أمّها.

وفعلا تزوجت فتاة فيها كل الصفات الحميدة.. إلا أنني غضبت منها ذات يوم.. ضربتها وشتمتها وشتمت معها الأم والأب.. فردّت لي الشتيمة.. وكانت هذه صدمة لم تتحملها رجولتي فطلّقتها.

الى أن جاء يوم خرجت فيه مع صديقي إمام المسجد.. ذهبنا الى مقهى الحيّ نحتسي فنجان قهوة. شكوت له حيرتي وسوء حالي.

ضحك..

انزعجت.. قلت وفي الصوت عتاب :

– ضحكة شماتة يا صديق.. ؟!!

قال والخجل يركب صوته:

– معاذ الله.. إنما هي ضحكة على اختلال ميزان العدل عند الإنسان.

ألا يغفر لهذا القط المسكين.. سارق قطعة اللحم أنه أنقذ حياتك من لدغة أفعى.. ؟!!

ألا يغفر لذلك الكلب الأمين أنه حمى بيتك من دخول لص لئيم.. ؟!!

وكيف تلوم إنسانا حرّا كريما.. تضربه وتشتمه.. وتشتم من أرضعتها.. وأباها الذي ربّاها على الخلق الكريم.. وتستكثر عليها ثورة كرامة.. تردّ عليك فيها بشتيمة واحدة.. مقابل الضرب وجميع الشتائم ..؟!!

لقد شططت يا صديقي وتعجّلت النطق بالحكم.. فميزان العدل عند الله.. أن يضع الحسنات في كفّة.. والسيّئات في الكفة الأخرى.. الحسنات لها الجنة.. والنار للسيئات.

راجع نفسك.. واستغفر ربك.. وراعِ العدل في ميزان حكمك.

ذهبت من فوري الى المأذون استردّ زوجتي.. وما أن وصلنا الباب حتى استقبلنا القط والكلب فرحين.. يتمسحان بأقدامنا.. نظرت اليّ زوجتي نظرة ''هل جزاء الإحسان إلا الإحسان''..؟!!

قلت أدخليهما.

طنجرة الموت

صغيرة بعمر البرعم.. تتفوق على براعم الدنيا.. بأن لها شذى عطر وأريج.. والأمل المعقود عليها كبير.. ذكاء لماح.. الوجه نضر جميل.. والشعر طويل.. شلاّل حرير والصوت ناعم كأنه خرير غدير.. حملتها أمها ووضعتها على الطاولة..

وعلا صوتها: أعطوني طبلة.. إذا لا يوجد أعطوني طنجرة.

أخذت تنقر على ظهر الطنجرة بأصابع فنّان.. ويعلو صوتها أكثر.. ''كفّ يا صبايا.. اللي بتحب النبي تزغرد ''.. وانطلقت تغنّي.. ''هزّي يا نواعم خصرك النحيل.. خلّي الشعر الناعم مع الهوا يطير.. حصوة بعين اللي ما تصلّي على النبي.. ارقصي يامّا.. لا تخجلي الرقص فن.. والمواهب ظاهرة واضحة. ''

في البداية كانت عينا الطفلة حييّتين لا ترتفعان عن الأرض.. والإصبع الخجل داخل الفمّ.. لكنّ الأداء بديعا.. والتّصفيق عالٍ.. والزّغاريد تحيّات.. تتبادلها الجارات من شباك الى شباك.

تشجّعت الطفلة.. وغاب عن وجهها الخجل والحياء.. وأدّت بإبداع رقصات فنّانات محترفات.

مرت الأيام وللطّفلة دعوة من كل بيت فيه مناسبة فرح.. وكان أهل الفرح دوما يشترطون على الأم أن تحضر معها ابنتها.. ويكون للأم من أهل الفرح الترحابُ وصدرُ البيت بفضل ما تضفيه الطفلة من بهجة وفرحة على جوّ الحفلة.

انتقل الخبر الى المدرسة.. فكانت الطّفلة نجمَ كل رحلةٍ وحفلٍ مدرسي.. لكن التّراجع في دروسها كان واضحا.. فالإهتمام كان منحصرا على مراقبة التلفزيون ومراقبة ومتابعة أصعب حركات الراقصات وتقليدها.. حتى برعت في هذا الفن.

الى أن وصل الخبر الى متعهد حفلات أفراح.. فعرض على أهلها أن ترقص في الأفراح والكزينوهات.. بحيث ضعف رفض الأهل حين وصل المبلغ الى أرقام مغرية.

وصل الخبر الى المدرسة.. وكان قرار الفصل.. فالليل كان يأخذ منها النشاط والحيوية..

والنعاس على الرمش أصبح له وزن.. فكانت عيناها تغفو على درج المدرسة.. وأحلام النجاح والفرحة تملأ قلبها.

كبرت الطفلة.. وتحسّست موقعها في عالم الفن.. فوجدت نفسها تحتل مركزا متقدما في هذا المجال.. فترفعت عن الرقص في أفراح الجيران.. والنقر على ظهر الطنجرة أو الطبلة.

كبر الطموح.. وطفح الجيب بالمال.. فكان لها صالة لتعليم الرقص.

كبر أخوها الصغير.. الذي نمى في حيّ شعبي متزمّت.. حسابه عسير مع كل من خرج عن الأصول.

فالمرأة عورة.. تُلحق بأهلها العار.. إذا ما كشفت الشعر.. وتبرّجت تلبس بلوزة أو بنطالاً.

الضحكة حرام.. والكلام مع الرجال وقاحة واستهتار.. ولا يمسح العار سوى الدم والنار.. كانت هذه الأفكار والمفاهيم تسري مسرى الدم في شريان الأخ

الصغير.. الذي كان يعتبر نفسه الناصح الأمين.

إلا انّه لم يكن في أذن أخته حيّز لتستمع لمثل هذه النصائح.. فذهبت أدراج الرّياح.. فعينها اليوم لا ترى سوى المال.. وأذنها لا تسمع سوى المديح والإستحسان.اشتد الغمز واللمز من أهل الحيّ على الأخ الصغير.. واحتار كيف يعيد لنفسه فضيلة الشّرف والإحترام.. فلم يجد أمامه سوى الدم والنار.. فاستعان بعين شيطان جاءه بخبر أشعل في دمه النار.. شقيقتك تجلس على طاولة خمر وقمار مع حثالة الرجال.. فذهب من فوره يطلق على أخته النار.

صائدة الرجال

في مشيتها بخترة الحِسان.. في الخطوة دلال.. وللرّدف شموخ وكبرياء.. يتهادى يمينا وشمالا.

الشعر شلاّل.. العين كحل الليل.. الشّفة وردة.. والعطر نسيم بستان.. والنّهد ثورة تمرّدت على القميص.. والفستان كان له عقل وطار.. تمضغ اللبان بالونات.. تطلّ من بين الشفتين أشكالاً وألواناً.. والعيون تنطلق من المحاجر سهاماً.. لسان يشكر رب الجمال.. وآخر يلعن الشّيطان.

مشت وعين مراهق تتبعها.. والثورة في الدم بركان.. الى أن دخلت طريقا شحّت فيه الأقدام هجم عليها يمزّق القميص.. ويرفع بقايا فستان.. فإذا بالشّرف عملاق في قمقم الصدر تمطّى وصوتها جمع الرّجال.. أمسكوا بالمراهق.. وأخذ من الضرب ما لا يحتمله حمار.. ليس من أجل الشرف.. أو غيرةً على العِرض.. بل من أجل عيون جمال كذّاب.. تفوح منه رائحة الفجور.. وللرذيلة عند أهل الخطيئة احترام.

جاءت سيّارة شرطة الآداب.. حملت الفتاة والمراهق الغلبان.. إذا بضابط المخفر.. يسلّم على الفتاة بحرارة واشتياق.. أخذ معها موعدا.. وكان له قرار.. بإخلاء سبيل المغدورة.. وأدخل الولد قفص الإتهام.

لا تنسَ نفسك .. فتتيه

الصّوت عال.. زقزقة عصفور.. الصوت حزين والعشّ عالٍ.. الريش بعدُ زغب.. والبرد شديد.. طارت الأم مع طلّة الصباح.. الضنى غالٍ.. والرّزق شحيح.. والجوع كافر.. والصّغير ما تعوّد بعد الصّبر.

العمر ما زال أياماً .. وقد ذاق مرّ الصبر من طال به العمر.. وعرف الأيام وسهر الليالي الطّوال.

لكنه القدر والصياد.. كانا على اتفاق.. الأم صيد في الشبكة.. وحبّة القمح رزق.. فرخها ما زال في المنقار.. نادت العصفورة وكرّرت النداء.. ولكنه الصيّاد أطلق السهم وما عاد لها في الحرية أمل ولا رجاء.

دخل الغروب وعادت العصافير الى أعشاشها بالرّزق الوفير.

دخل قلب العصفورة الصغيره وحشة وخوف.. واشتاقت الى حضن دفء جناح الأم تغفو على صدر الأمان.. فصوت البوم وجارح الطّير دوما يخيف الفراخ الصّغار.

سمع استغاثة صوت العصفورة الصغيرة عصفور كبير في السن شهم.. خبر الحياة وحنّكته الأيام.. دخل عشّ العصفورة.. فرد لها جناح الدفء والحنان..

وأطعمها ما لذّ وطاب من الطعام.. وغرّد لها من ألحان الحب والحنان.. ما جعلها تغفو وتنام.. ومع طلّة الصباح.. طار وعاد يحمل لها بمنقاره الطعام

أشكالا وألوانا.. وما أسقاها من الماء سوى قطرات الندى.. من قلب الوردات رحيقا.. عزّا ودلالا.

كبرت العصفورة.. واشتدّ عزم الجناح.. علّمها كيف تطير.. وما اعتلى السّماء طير.. ولا انفرد مثل جناحها جناح.. أحبها العصفور العجوز.. أكرمها وسهّل لها كل صعب.. فأصبح الملجأ والأهل والصدر الواسع الذي فيه الحب والحنان والأمان.

إلا انه كثر الهمز واللمز بين الطيور.. فالعجوز شحبت ألوان ريش جناحه.. والوجه أخاديدُ عشّش فيها الزمان سنوات وسنواتٍ..ولكن الحب لا يعترف بالسن.. والهرم لا دخل له إذا مال القلب للقلب.. وكان بين الروح والروح عشق وانسجام.

تزوج العصفور العجوز بالعصفورة الفتيّة.. وكان الفرح أياما.. عاشتها في حب وسعادة ووئام.

الى أن نظر العجوز ذات يوم الى وجهه في المرآة.. فهاله ما كتب على جبينه الزمانُ.. عجوز تسبح ضدّ التيّار.. أنت شمس ما عاد فيها دفء.. وقمر ما عاد يضئ أرضاً ولا سماءًا.. زوجتك باتت تشتاق الى الفراخ.. وأنت عجوز ما عاد فيك خير ولا فلاحٌ.

مسح العصفور العجوز الكلام عن جبينه.. وعلا صوته يستفزّ قوة وعزم الشباب..

ولكنه فشل وخاب.. ونكّس رأسه يحتلّه الضعف والهوان.

طلّ برأسه خارج العشّ.. رأى عصفورته تغازل ابن الجيران ..عصفور فتيّ آية

في الأناقة والجمال.. المنقار ملتف حول المنقار.. والهمس ملئ بالحب والعطف والحنان.. طار العصفور الى عشّه.. وتبعته العصفورة بجناح الحب.. وعلا صوت التغريد أنغاماً.. وطار الريش بلون قوس قزح أشكالاً وألواناً.. وكان العشق ثورة بركان.

هل القمر بخيل.. ؟!

رفعت الأرض صوتها تطالب القمر بدين قديم:

يا قمر! نحن نقبع تحت سطح سمائك مدى عمر السنين.. ونتغزّل بك أدباءَ وشعراءَ وفنّانين وما مددت يدك الى جيبك كما يفعل أهل الكرم والموسرين.

الشاعر يقف أمام باب الملك او الوزير.. يمدحه بقصيدة.. أو بعض أبيات من الشعر جميل فيكرمه الملك ويعطيه مالا كثيرا.

ماذا هل أنت بخيل..؟!

غضب القمر.. أظلم وغطّى وجهه ببعض السحب.. وأصبح عبوسا قمطريرا.. لا يريد أن يرى أو يسمع عقوق الأرض.. وعلا صوته يرعب النجمات.. حتى وصل أطراف السماء البعيد:

- يا أرض.. أنت تعطينني كلاما.. وقصائد شعر.. (والشعراء يتّبعهم الغاوون).. صدق الله العظيم.

أما أنا فأعطيك نورا.. وأحلام اليقظة الجميل.. حب وعشق على خيوط نور أنعم من الحرير يتناغم مع أحلام الأحبّاء والعاشقين.

إذا فأيّنا المعطاء الكريم؟!! أريد اعتذارا.. أو أحجب عنك النور.. وتعيشين مع الليل كالخفّاش والبوم اللئيم.

سمع الأحباء والخلاّن والعشاق هذا التهديد الخطير.. وقامت ثورة.. يطالبون بالإعتذار فورا..

نحن لا نريد حبا في الظلام كحب الخفافيش.. أو البوم اللئيم.

«إمبراطور.. وليس مديراً»

عمّي محمّد آذن في مدرسة ذكور.. له المحبة والإحترام.. فهو أب حنون لكل طالب.. ويعتبر نفسه مسئولا عن كل دمعة طفل مظلوم.. أو ضعيف امتدت عليه يد شقيّ احترف الأذى وسيطر وأذعن له هواة الشرّ.. والمبدأ أكون أو لا أكون.. بالقوة تحكم ويهابك الآخرون.

كانت كلمة الحق شرعه.. تمدّه بالإيمان قويّا.. والجرأة يتحدّى بها الأساتذة والمدير..

وما هاب يوما سلاح القانون ظالما يتمنطق به المدير.. يتحدّى ويرفض الأمر.. ويطول لسانه بكلمة الحق يشهرها.. معتمدا على الله.. والله على الظالمين.

ضاق صدر المدير به.. وكان من أهل الظلم.. لا شفقة ولا رحمة.. واليد من حديد.. أدّب الآذن.. وألبسه الذلّ.. وبتر من لسانه كلمة الرفض (لا).. وفتح دماغه واستأصل التمرد والعصيان.. وارتضى الآذن المسكين بالظلم والذلّ.. وأصبح المبدأ أمرك يا سيدي.. واعتدل اللسان واعتاد على كلمة (آمين).

الى أن جاء يوم مبارك.. انتصر فيه الشعب على النظام الحاكم المستبد الظالم.. وعلا صوت رجال الثورة يطمئن الشعب.. المساواة والعدل.. وتوفير لقمة العيش.. والرجل المناسب في المكان المناسب..

فرح الشعب بالنظام الجديد.. إذا بالإنقلاب على النّظام يتبعه.. وإنقلاب في

المدرسة.. الله أكبر.. فإذا بالآذن يصبح مديرا.. فللقريب على القريب حق.. وكان أحد رجال الثورة للآذن قريبا.

على من نعتب أيها الإخوة..على النظام الجديد.. الذي جاء باسم الحق والتغيير.. أم على الآذن الذي أصبح إمبراطورا..وليس مديرا..؟!

لص.. وليس حبيباً

عباس.. عباس.. يا عباس استيقظ. أسمع خطواتٍ داخل البيت.

كان قد انتصف الليل.. والنوم كان قد ذهب بالزوج الى ضباب عالم الأحلام.. يتنقّل به من حلم الى حلم.. بعيدا عمّا يجري في بيته.

الى أن هزّته زوجته بعنف:

– اصحُ يا رجل.. أسمع في البيت خطوات.

نهض الرجل مذعورا.. يمدّ يده تحت وسادته شاهرا مسدسه.. يصغي السّمع.. ويتبع الصوت.. إذا به أمام اللص.

رفع صوته مهددا.. وتمكّن من أن يقيده بحبل.. ونادى على زوجته:

– تعالَي .. تعالَي ولا تخافي.. قيّدته وشددت وثاقه.

دخلت الزوجة الى الصالون حيث الزوج واللص.. وما أن وقعت عينها على اللص حتى شهقت تنظر الى اللص مأخوذة.. مما جعل الزوج يستغرب ويسأل:

– ماذا هل تعرفينه..؟!

قالت مرتبكة:

– لا.. لكنهما الدهشة والخوف أفزعاني.

قرّب الزوج المسدس من رأس اللص:

تشهّد على روحك.. لا أقبل ثمن اقتحام بيتي سوى روحك.

علا صوت الزوجة مذعورا مليئاً بالخوف:

- لا.. لا ترتكب جريمة قتل.. نستدعي الشرطة.. تحقق معه.. فيأخذ عقابه.

قال الزوج والغضب ثورة.. لا يكفّ عن ضربه.. والشّتائم سيل لا يتوقّف عن لسانه.

جرائم اقتحام البيوت كبيرة.. بحيث تمنع عائلته المطالبة بدم أو ديّة.

قالت وفي صوتها رجاء:

هناك رب يحاسب قبل الشرطة والأهل.. دعه زوجي الحبيب.. ما نقص مالنا شئ..

حسابه عند ربّه. قال الزوج يؤنب زوجته:

- هذه طيبة الضّعفاء.. أو الأغبياء.. لو أن كل صاحب حق. معتدى عليه يتنازل عن حقه بمثل هذه السهولة.. لانتشر اللصوص يعيثون في الأرض فسادا..الأفضل أن نستدعي الشّرطة.

استدعى الرّجل الشّرطة.. قبضت على اللص.. وبعد سؤال وجواب.. وتحقيق شرس ذكي.. يرفض اللّص الجواب على سؤال.. بينما كان المحقق يصرّ أن يعرف الجواب..

كيف دخل المنزل.. دون أن يكسر زجاج شباك.. أو قفلاً.. أو يحطم باباً؟!

بعد تهديد وضرب وتعذيب.. اعترف الرجل:

– أخذت المفتاح من ربّة المنزل.

دهش المحقق: كيف..؟!

عاش الزّوج عدة سنوات في الغربة.. يبحث عن الرّزق في بلد عربي شقيق.

وعاشت الزوجة مع الوحدة.. الى أن تعرّفت على هذا الرجل.. وكان تاجرا صاحب حانوت لبيع الملابس فاشلاً.. كان يعتمد على اللسان.. فهو في الإحتيال والدّجل فنّان.. ودعم هذا اللسان الوحدة والفراغ الذي كان يملأ حياة الزوجة.. فساعد على التّراخي والإستسلام.. وأوحى لها حبها أن تقدم له نسخة من مفتاح بيتها دليل عشق يملأ شغاف قلبها.. حتى يدخل ويخرج براحة وأمان متى شاء.

ولما كان تاجراً فاشلاً.. طمع في النقود التي كان يرسلها الزوج من أجل حياة فيها الأمان والإستقرار واتقاء شرّ الزمان.. جاء يستغل النوم.. وسواد الليل دون أن يعلمها.. وما سنحت للزوجة فرصة أن تخبر العشيق بقدوم زوجها.. فكان أن أصابها الندم.. بعد أن عرفت غدره.. وأنه جاء البيت لصا وليس حبيبا.. وتمنت لو أن زوجها قتله.. ولم تقترح عليه أن يفوّض الى الشرطة في أمره.. ليكتشفوا السر.. ويكون الطّلاق عقابُها.

تصبحون على حب.. وليس على استعباد الحب

رفقا بنا أيها الشعراء.. تضللوننا .. لماذا .. حرام..؟؟!
الشاعر إبراهيم ناجي رحمه الله.. في قصيدته الأطلال.. قال على لسان عاشقة:
''أعطني حريتي أطلق يديّا.. إنني أعطيت ما استبقيت شيئا
آهٍ من قيدك أدمى معصمي.. لم أبقه وما أبقى عليّا.''

الحقيقة أنني أتحرّق شوقا.. من أجل حبّ صادق
ولكنني أرفض أن أستعبد من أجل الحبّ.

المسكينة المضحية تقول.. إنني أعطيت ما استبقيت شيئا أي أنها أعطت للحبيب كل ما تملكه من الجسد.. الى المال.. الى الوجود اي أنها ذابت تلاشت في حبّه.. أصبحت لا شئ.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن «من هذا الذي يحب لا شئ» ..؟؟ الحبّ شخصيّة..كيان.. وجود.. ميّزة في المحبوب..لا تكون موجودة عند أحد.. ولا يراها أحد سوى الحبيب.

الى أن يصل بها الأمر حدّ الرجاء..

أن يعيد لها حريتها..والسبب أنه أصبح سيّد قلبه او أنها أصبحت أعجز من أن

تسترد حريتها إلاّ بإذن منه..
وإن سألتها لماذا تريدين أن تستعيدي حريتك؟

أجابتك: بسبب ألم القيد في معصمي..وليس شوقا للعودة الى الحرية.
والله إنكم أيها الشعراء ترشّون السّكّر على الموت.

أيها الإخوة تصبحون على حب
وليس على استعباد الحبّ.

عشّ الحمام

عشّ حمام جار لنا منذ سنين.. يسكن فوق رفّ شبّاك الجيران.. الحمامة لها لون زهرة الفلّ بيضاء... تتبختر في مشيتها بدلال.. وفي عيون ذكور الحمام لها اشتهاء.. زوجها أسمر.. غمس ريشه في سواد الليل... والعين فيها شرّ وسطوة اعتداء.. لا تغفل عينه عن زوجته.. دوما يحوم حولها.. والهديل أغنية عاشق يتغزّل بلون الرّيش.. ونعومة المنقار. ذات صباح.. رأينا ذكر حمام غريباً.. ألوان ريشه صبغتها يد خالق سبحانه فنّان.. اقترب من الحمامة البيضاء يحمل في منقاره حبّة قمح.. من الفم للفم قدّمها لها هدية ودّ.. على أمل أن يكون بينهما لقاء.. وإذا بعين الزوج من على رأس شجرة عالية كانت رقيباً.. اندفع بدم صقر جارح مجنون .. والمخلب مشحوذ يفتك بذكر الحمام الغريب.. يعتلي صدره.. والهديل طبول حرب الإنتصار... بدأت الحرب وانتهت.. والحمامة المسكينة تحاول أن تؤكد للزوج براءة اللقاء.. لكنه أصرّ وقدّم لها جثته هدية زوج غيور.. صاحب مبدأ النار ولا العار. اقتربت الحمامة من المغدور مندهشة.. لمسته بحنان جناحها.. تأكدّت.. انفجر من صدرها صوت.. وسالت من عينها دمعة.. وطارت.. وطارت.. طارت فوق الغمام.. وما عادت الى العشّ أبدا.

جارتي.. بارك الله فيها

الكشرة هي عنواني.. وجه مقدود من صخر.. نحتته الشمس.. وأحرقه البرق.. وشقّقه الرعد... الله أهداني.. كشرة يرهبها الصغار.. ويكرهها الصديق والجار.

دوما أنا والضحكة على خصام.. كلما زارت وجهي.. تناولها الغضب ودحرها الى زوايا عمق النفس عقاباً.. الضحكة تسيّب وانفلات.. تسقط الهيبة.. هي في عالم الرّجال إسقاط.

ذات يوم والدنيا صباح.. أشرق عليّ وجه جارتي بالودّ.. صباح الخير يا جار. رددتُ التّحيّة.. أسعد الله الأصباح.. وما كانت هذه عادتي.. فالبخل بالكلمة الحلوة له في القلب ارتياح.

فجأة اعترضتني جارتي.. وفي اللسان عتاب.. وعلى الوجه ملامة:

– لماذا شتمتني يا جار.. ؟؟

قلت مندهشا.. معاذ الله أن يخطئ في حقك لسان.. أنا رددت التحيّة بأحسن منها.

قالت : لقد سمعت ما قاله اللسان.. ولكنني قرأت ما في العين.. والمرسوم على الوجه..فبؤبؤ العين فضّاح.. تبسّمك في وجه أخيك صدقة يا جار.

أصابتني دهشة.. وبدون إرادة منّي .. افترّ ثغري عن ابتسامة.. أشرق لها وجه جارتي:ما أجمل ابتسامتك يا جار.

ومن يومها ما غادرت البسمة وجهي .. وما بخل لساني عن ردّ التحيّة.

أرجيلة جدّي

كنّا نتحوّط الكانون.. الخدّ أحمر.. صحة وعافية.. وشهر البرد كانون..
الثلج قلب أبيض.. ورحم الغيمات السود بالماء مسكون.
ابتدأت المعركة في سماء كون مجهول.
علا صوت الرّعد فارسا.. والصوت جهوريّ.
نزل الى الأرض.. تمطّى على السهل والجبل ونزل الوادي.
وصدى الصوت رعب.. هرب الوحش الى عرينه.. والإنسان أشعل الكانون..
حضر الزيت والزيتون.. والجبنة.. ورغيف الخبز على النار.
تفوح منه رائحة الزعتر.. واللسان خرج من بين الشفتين يتلمّظ عجولا..
حمدنا الله.. وكنّا جميعنا عباداً شاكرين.
طرب جدّي.. وكان صوت الأرجيلة صوت غانية غنّاجة لعوب..
كلما هدأت أشعل النار فيها.. وزهرة الفلّ تتناغم على موج الماء سكرى طروبا..
تثاءب الجميع.. وجدّي عيون.. ينفث الدخان من صدره.. سحابا بالهموم مسموماً.
علا صوت جدّي..الطرب جماعة..لا يحلو دون جليس.
وكلما سلطن وهزّه الطرب..علا صوته أكثر:
– اضربوا الكف بالكف.. وعلّوا التصفيق..
السهر لا يحلو في شهر كانون.. إلاّ مع الكانون والأرجيلة والجليس.

دمعة عصفور

قبل طلّة الشمس كانا يستعيران جناح الشوق.. ويطيران خلف الأفق البعيد.
يشعلان قرص الشمس.. ويعود كلّ منهما يتمركز خلف شبّاكه للشوق أسيراً...
والنظرات مغموسة برحيق الحب.. والدنيا بمولد يوم جديد..
تفرك الدجاجة عينيها من نعاس.. والصيصان تتثاءب.. والدّيك يكبّر:
تحيّة لمن أيقظ الشمس.. والنور يتمطّى على السهل..
ومنقار العصفور يحمل حبة قمح.. وتغريد الفراخ مع طلّة الصّباح أغنيّة شروق.
تتغامز وردات البستان.. وينطلق شذى العطر.. يملأ صدريهما..
والآهات تنطلق من القلب عذاباً.. فالشّباك أمام الشّباك.. واللقاء بعد الأرض عن السّماء.
ضاق صدر العصفور والعصفورة.. جاران من عشّهما يراقبان..الفتى والفتاة..
وسهام الحبّ تتطاير من حولهما شهبا..
والنجوم تشتعل شمعات.. تنير الطّريق بين الشباك والشباك.
طار العصفور الى الشاب..وطارت العصفورة الى الفتاة.
علماهما لغة الحبّ.. فانطلق لسان الشابّ بالحبّ أغنية..
والفرحة انطلقت من قلب الفتاة زعرودة شجيّة..
حزن العصفور والعصفورة.. حين أصبح الحبّ عند الفتى والفتاة كلاما..
وما أروى كلام الحبّ يوما.. وردة عاشقة في بستان.

انطلق العصفور والعصفورة.. يرسمان لوحة حبّ ولقاء .. فرحت بهما السماء.. وأضاء لهما القمر.. ورقصت لهما النّجمات.

فكان للفتى والفتاة في كلّ يوم لقاء.. فرح بهما بستان الحيّ.. وغرّد العصفور.. وأطلق البستان شذى عطره ينعش حبّا بعد طول فراق.

مضت الأيام والحبّ والبستان والعصفورة والعصفور في انسجام..

إلا أن تأخر الفتى عن الموعد..بدأ يقلق الفتاة..

فبدا الحديث عتابا.. علا الصوت فاصبح اتهاما.. علا أكثر فأصبح شجارا..

أقلق فراخ الطير في أعشاشها على رؤوس أشجار البستان.

والتوت أعناق الزهور حزنا.. على حبّ ما أثمر.. و مات قبل الأوان.

قال العصفور للعصفورة.. والدّمع يهطل من عينيه زخّات:

– الحمد لله أننا خلقنا عصفورا وعصفورة.

. لم يرتق الحبّ عند الإنسان بعد فوق الشّبهات

مغرورة

الدّنيا سكون.. ليس سوى قمر.. يسكن السماء.. مشاغب مجنون يضع عينه في عيني فيضحك.. وتضحك معه النّجوم
قالت وفي صوتها دلال.. يصعد الى القمر.. على خيوط نور:
– تغازلني يا قمر.. وتمنّي شيئا لن تطول..؟؟

البعد بيننا سفر شهور.. فكّر بالمعقول!!

قال القمر.. وقد أضاء وجهه خجل:

– ضاعت من سمائنا نجمة..

لها نفس النور.. نفس الجاذبية.. نفس العيون

اعذريني.. الشبه كبير

وما تعوّدنا أن نرى على الأرض نجوما

تذكّري.. إذا ما كنت ذات يوم

تنيرين سماء عاشق محروم..؟؟

اللي بتحب النبي تزغرد

علا صوت الزّغاريد يملأ الحيّ بالفرحة.. ويفيض على الأحياء المجاورة بهجة وسرورا..
يعلو فوق صوت الزّغاريد صوت البارود.. معلنا الفرحة بقدوم العروس.
برك الجمل أمام باب الدار.. طلّت العروس من هودجها.. طلّة الصباح على ورد البساتين... مشى الغزال يتبختر يمينا وشمالا.. والأمّ تردّ عين الحاسدين.. تبارك الخلاّق العظيم..
أوسعوا الطريق..
قمر نزل من السماء.. نوّر الدنيا فرحاً وهنا
عريس.. يا عريس.. أجاك القمر ونجماته
يجعل أيّامك نور.. وتتهنّى بطلاّته
علا بالمقابل صوت أهل العروس:
(قومي اطلعي.. قومي مش همّك
وإحنا حطّينا حقوق أبوك وعمّك
قومي اطلعي..قومي اطلعي لخالك
وإحنا حطّينا حقوق أبوك وخالك).

وعاد يعلو بالمقابل صوت أهل العريس
زفّوا ''محمد'' وصلّوا على النبي
يا ''محمد'' يا أبو حظ قوي
زفّوا ''محمد'' وصلوا على الرسول
يا ''محمد'' ربّي عمرك يطول
بارودنا.. يا بارودنا

يلمع بزنود رجالنا
طلّت الزوجة من شباكها تسأل
مين العريس.. ربنا يهنّيه.. ويهنّي أهله فيه
دخل العريس ''محمد''.. .والرجل لا ينقصه خلق ولا ناموس ولا دين..
أنا العريس يا شلبية... قهقه
ألم أقل أن لك عندي هدية..!؟
قالت الزوجة فزعة.. لا تصدّق:
– ألم تقل أنك تحبني..؟؟
قال:
– وما زلت.
– تحبني وتهديني ضرة..؟!!
والله ما فعلها كريم.. ولا ابن حرّة.
ثارت والغضب يتطاير عن لسانها لعنات.
علا صوت زوجها ''محمد'' تأخذه العزة بالإثم:
– اخرسي ولا تكثري من الكلام..
وإلاّ كانت لك العتبة .. ولها صدر الدار.
الشرع حليفي.. وشيوخ الحيّ داعمي ورديفي.
كان شرط الزواج بينك وبين أخي فارس.. أن لا تأتيني بشريكة أو ضرة.
قال واللؤم يركب كلماته:
– أبوك حكيم الحيّ مات.. وأخوك الفارس ذهب الى الحرب..
عاد الرجال وما عاد.. لا بدّ أنه في أعالي السماء مع الشهداء.
قالت والأسى يقطر من كلماتها:
– إذاً أنت تستقوي على ضعفي.
– احسبيها كما شئت يا شلبية... لم أخالف شرعا.. ولم أرتكب عيبا.
– لكنك خالفت وعدا.. فأصبحت من زمرة مخلفي الوعود والعهود.
علا صوته مهددا:

– تقصدين أنني منافق ..؟؟
– هذا قول الله فيك.. تحدّثت مع أخي فارس وكذبت..
وعدته أن لا تأتيني بالضرة وأخلفت.. ائتمنك عليّ وخنت..
فأين تهرب من قول الله فيك..؟
لم يلتفت الى قولها.. وذهب الى زوجته الجديدة.
فلكل جديد بهجة.. أخذه سحر العروسة.. وما عدل..
فكان الإهمال والنسيان من حظ زوجته شلبية..
إلاّ أن كريم النفس عزيزها.. يأبى الإمتهان والإذلال.
فثارت ثورة كريم.. تعزّ عليه كرامته.. فكان عقابها الطلاق.
وأقسم أن لا تعود الى أهلها.. إلاّ على ظهر حمار إمعانا في المهانة والمذلة.
عادت شلبية الى بيت أهلها.. يذّلها الطلاق.. وتعالي الضرة.. وجبروت الزوج.
دارت الأيام تلعب لعبتها.. وإذا بفارس أخو شلبية تتزيّن لعودته المدينة فارسا سليما معافى..
والرجال من حوله يهللون ويكبّرون.
علم فارس بغدر زوج أخته.. وإخلاله بشرط الزواج.. فذهب إليه فارسا..
له غضبة الرجال.. ركع زوج أخته عند قدميه ذليلا مهانا يستغفر عن خطأ ما توجّس منه.. ولا حسب له حسابا.. .وعادت شلبية الى بيت زوجها معزّزة مكرّمة على ظهر حصان....
تحيط بها كوكبة من الفرسان.. وكان الإهمال والنكران للزوجة الجديدة.
عاشت شلبية مع زوجها أياما.. ونظرت الى ضرتها نظرة الكريم.. صاحب الضمير الإنسان..
ورأت في زوجها جيفة.. تفوح منها رائحة الفجور والجبن والعار...
فأبت عليها نفسها الكريمة الاقتراب منه.. أو الإقتران.. ووزنته بميزان الرجال..
فرأت أنه لا يليق بمهرة.. ذات حسب ونسب.. وأهلها الكرام.
ذهبت وأمسكت بيد ضرتها تواجه زوجها.. والكرامة تملؤها:
– خذ عروسك واهنأ بها.. والله لا أرضى لولدي نذل الرّجال.

بئر كوكب الأرض

المكان: قعر بئر كوكب الأرض..على ساحل البحر الميت.

حيث تحيط بك جبال ليست كالجبال... جبال كأنها هبطت من كوكب آخر بعيد.. من إحدى تلك المجرّات.. غريبة في أشكالها.. غريبة في تركيبة صخورها.. غريبة في ألوانها.. غريبة في صمتها وسكونها.

الزمان: منتصف الليل.. رهبة وسكون.. جوّ بالغموض مسكون.. كأنها الصّحراء لسانها مبتور.. صدى يتردّد بين الجبال.. ينام البحر بين أحضانها بأذرع الأمان...

القمر يتنطّط على رؤوس الجبال.. والنّجمات تمسك في سقف السماء.... تخاف أن تسقط في عمق الأغوار.

الطفل يركض خلف القمر.. والنجمات تسبح على سطح الماء..

ناديت على الصديق:

– صوّر القمر.. لوحة لا تقدر بثمن.

القمر ترك سماءه.. ونزل يلهو في زرقة بحر الأرض.. يلهو مع البشر.

النسيم الدافئ يعبث في خصلة شعر فتاة شقراء.. جاءت من طرف الدّنيا البعيد..

تنعم وتمتّع عينها بعجيبة من صنع يد القدر..

بحر وجبال وصمت مسكون بالأسرار.. لم يتعرّف بعد إليه خيال إنسان..

صوّر صديقي القمر.. وبالفرحة عدنا.. القلب يطفح بالسعادة.. والعين تسرح

بالأحلام.

جاءني صديقي في اليوم التالي.. يمدّ لي الصّورة بائسا معكور المزاج.

ليس هذا القمر الذي صاحبنا في المساء؟

نظرت الى الصورة.. فما رأيت سوى قرصا يلمع في وسط السماء.

ضحكت: يا عزيزي ليس وحده القمر الذي أسعدنا في ذلك المساء..

كانت السعادة قمرا ونجماتٍ وبحرا وجبالا وخصلة شعر ونسمات هواء..

كانوا جميعا في إسعادنا أصدقاء وشركاء.

ذكريات عجوز

عشت في مصر مدة.. كان جاري عجوزا بلغ من العمر عتيا..
صاحبي العجوز هذا.. كان له حانوت بقالة.. وكان قد أنعم الله عليه بالمال ..ومحبة الناس.. ومن جملة من أحبهم وأحبوه زمرة..
من المثقفين.. الذين لهم مراكز في مجالات الفن والثقافة والأدب..
كان الرّجل صاحب فكر وحسّ عميق وقلم مشوّق..
انتبه له أصدقاؤه. فحثّوه على الكتابة.. كتب القصة القصيرة.. وكان أجره في البداية ملاليم.. فرح بها.. وكانت في ميزان فرحته تعادل الحانوت.. وما درّه عليه من المال.
كان الرجل نشيطا في عمله.. متابعا للسوق.. محافظا على اسمه وتجارته.. فأصبح نشيطا في فكره وقلمه.
أهمل الحانوت قانعا بملاليم يدرها عليه فكره وقلمه..
حيث أنه نسي نفسه وحانوته.. فذهب الحانوت والمال..
سرق القلم منه عمره.. وبات عجوزا لا يكفيه دخل قلمه..
وأصبح في عداد الفقراء.. تجود عليه بعض الجمعيات الثّقافية ببعض المال..
والغريب أني ما سمعت الشّكوى سوى من زوجته.
وكانت المفاجأة حين سألته:

- ما الذي جعلك تحشر نفسك فيما ليس لك فيه.. ليرديك في ذلّ هوان الحاجة والفقر..؟؟

وقد كنت الملك.. حانوتك ما شاء الله.. أكرمك الله ولم يبخل عليك بالمال.

قال العجوز تدعم قوله ثقة بالنّفس زائدة:

والله ما كنت في يوم من الأيام تاجرا.. بل كنت حائرا أدور حول نفسي.. لا أعرف ماذا ينقصني..حتى تعرفت على هؤلاء الأصدقاء.. وكان لهم الفضل. إنّهم أنقذوني.. وعلى نفسي عرّفوني.. رفعوني من التّيه.. وإلى الطّريق أرشدوني.

عينك عدوّك.. لا تأتمنها على سرك

كلمات تدق داخل صندوق صدري أسيرة.. يعلو صوتها.. والضجيج ثورة حرّ.. والقيود وثاق شديدٌ ثقيلٌ.. أقفلوا عليها الطريق.. الباب مغلق..
والكلمات داخل الصّدر انفجارات موقوتة..

الظلام حالك.. ولا ضوء سوى نور شمعة.
الحذر واجب والعيون فضّاحة.. والأسرار على صفحتها.. باللغات السبع مقروءة..
الكلمات آهات.. صداها بين الضلوع أنّات موجعات.. إذا سمعها الحبيب..
هو من قلبي قريب.. أذنه على جدار القلب.. بين الدقة والدقةآآآآآآآآآهات مسموعة..
يركبه الغرور.. ويصبح الفارس المجنون.
هو السيد على قلبي.. لا يرضيه سوى قهري وذلّي.
كرامتي ..آآآآآآآه من كرامتي.. تقف على الباب حارساً.. تكتم الفم بقفل عنيد ثابت..
وتبقى الكلمات أسيرة الصدر.. والصوت من خلف الأبواب زلزال.
يا حبّ تعال.. تعال..كلما اقترب صدّه الحارس.. اخلع نعليك.. فالكرامة قدس.. والقلب لا يدخله.. سوى حبيب صادق طاهرٍ.

تاه الميزان.. هل حقا هذا حرام..؟

هو بستانيّ فقير.. والراتب ملاليم.. أربعون عاما يحرث الأرض ويزرعها..
يرعى الشجر.. كأنهما الوالد والولد.. بيديه يسقيه.. لا دودة ولا مرض..
بالدواء دائما يتابعه ويشفيه.. بالسّماد لا يبخل.. يعطيه حتى يكفيه..
ولا غصنَ يابساً.. دائما له بالمقص جاهز.. البستان دائما أخضر..
جنة على الأرض.. ما أجمل المنظر.. حبّ الثمار على الشجر..
كأنها النجوم.. تتلألأ في ضوء القمر.
أحب البستاني الأرض وكره صاحبها.. ما كان حامدا شاكرا للرب ساجدا
ما أحبه زرع ولا شجر.. ولا أرض مشى على ظهرها.. يملؤه الغرور والكبر.
ذات يوم نادى عليه صاحب الأرض يسأل:

– ما الذي بيدك أيها العجوز؟

– هي حبّات برتقال قليلة..أردت أن أطعم الزوجة والولد.

علا صوت صاحب الأرض فاجرا ظالما:

– أئتمنك على مالي وتسرقني؟

أربعون عاما أكرمك وأرعاك.. وفي نهاية الأمر سارق..!؟

– يا سيّدي إنها حبّات برتقال فيها من تعبي وعرقي ما جعلني أطمح أن أطعم منها زوجتي وولدي... وقد كان والدك رحمه الله يأذن لي بذلك.

لم يشفع تذلّل البستاني لصاحب الأرض.. استدعى الشرطة..
وأدين البستاني بجريمة السرقة.. طرد من عمله.. وحكم عليه بالسجن مدة

شهر واحد.

كانت الدنيا شتاءًا.. برد شهر كانون قارساً.

كان في السماء غيمة.. رأت الحادث.. دمعت عينها على المظلوم وحقدت على الظالم.

وكان الطوفان.. أفرغت فيه الغيمة ماءها جارفاً.

لم يبق على أرض البستان زرع ولا شجر..

وباتت الأرض جرداء..لا يسر شكلها ناظر..

انقضت محكومية البستانيّ.. مرّ من أمام البستان.. تذكّر مجهوده واشتمّ رائحة عرقه.. فدمعت عيناه على بستان.. رعاه ذات يوم كما يرعى الولد..

بينما كان صوت صاحب الأرض يعلو:

– احرثوا الأرض وازرعوا الشجر.

الكذب لسان الشّيطان

لا تكذب.. لا تكذب.. لاتكذب.. أسطوانة مشروخة كان يردّدها الأب على أذن ولده مع كل صباح.. والجفن ما زال ثقيلا.. والعين ترزح تحت ثقل نعاس..

بعد العشاء قبل النوم.. يتكرّر الموّال.. ولدي ''حسّان'' لا تقف أمام ربك بتهمة الكذب.. إنها من الكبائر العظام.. وإلا فسكنك جهنم.. تحترق بالدرك الأسفل من النار.

امتثل حسّان لكلام أبيه.. فكسب شرف كلمة خلوق.. والصادق الصدوق.. وحسن السيرة والسلوك في مدرسته وبين جماعته وأهل حيّه.

توفي والده وكان الوارث الوحيد لثروة نقديّة كبيرة.. حملها ذات يوم يذهب بها للعمل من مدينة الى مدينة.

أثناء الطريق.. اعترضه قاطع طريق.. يشهر في وجهه سلاحا:

– هل معك نقود..؟؟

قال حسّان دون تردد:

– نعم معي نقود.

استغرب قاطع الطريق.. فهو الخبير الذي علّمته مهنته أن كل من وقع في حبائله ينكر ويكذب.. إلا هذا الشاب.

أخذ منه النقود.. وقبل أن يتركه.. سأله عن اسمه والإستغراب مرسوم على وجهه.. وواضح في لهجته.. لماذا..؟؟كان بإمكانك أن تنكر.

قال حسّان: أنا لا أكذب.

سأل قاطع الطريق:
ولكنها ثروتك.. لن ينالك إثم الكذب.. لماذا لم تفكّر..؟!
عاد حسّان يردّد:
– أنا لا أكذب.
عاد حسّان الى بيته يذلّه الفقر.. والحاجة وسوء الحال..
فعمل أجير فرّان.. ثم صبيّ نجار.. وبعدها صبيّ حدّاد..
وركض في الدنيا طولا وعرضا.. لكن الظلم كان يلاحقه في كلّ مكان..
ضاق صدره بكل صاحب عمل.. إلاّ أن الظلم جعله حاقدا على الدنيا ومن عليها..
فتذكّر قاطع الطريق.. وسهولة حصوله على المال..فقرّر أن يمتهن مهنته..
فتمنطق بسلاح قطّاع الطرق.. يملأ جيبه في كل ليلة بالمال ويعود الى بيته..
والنقود تفيض من جيوبه أشكالا وألوانا.. يأتمن عليها صندوقا له أقفال..
بعد أن ضاق به الحال.. وعرف أهميّة المال.
ذات ليلة وكانت عيناه جريئة تجوس الظلام تبحث عن فريسة..
فإذا به يرى عجوزا يركب على بغل.. فانقض عليه من مخبئه.. والصوت زئير أسد يرهبه ويقطع عليه الطريق.
كان العجوز لماحا.. قرّب ضوء سراجه دون خوف من وجه قاطع الطريق..
فعرفه وتذكّر مستغربا.. كيف دارت الأيام.. وتبدّل الحال.. والمجني عليه أصبح الجاني.
فقال له: هل أنت حسّان..؟؟
أنكر قائلا:
– لا.
قال العجوز وفي صوته عتاب:

- كنت لا تكذب يا ولدي.. ما الذي غيّر الحال..؟؟

لمعت الذاكرة في ذهن حسّان وقال:

- غدر الزمان وسوء الحال أيها العجوز..

- ولكن أليس أنت من قطع عليّ الطريق ذات يوم.. وأخذ مالي..؟؟

قال العجوز:

- نعم.

استغرب حسّان.. كيف تعترف وقد يكون هذا الإعتراف ثمنا لحياتك..؟!

فأنت من آذاني.. وذلّني.. وكان سبب سوء حالي.

قال العجوز:

تعلمتها ذات يوم من شاب صغير.. هنا وفي نفس هذا المكان.. قطعت عليه الطريق.. سألته إذا كان معه مال.. قال نعم.. قلت مستغربا...لماذا لم تكذب.. وكان معك فرصة لتنجو بمالك..؟؟

فقال أنا لا أكذب.. أخذت منه المال .. ومن يومها ضاق بي الحال.. ما هنئت بعيش.. ولا طاب لي حال.. حفيت قدماي وأنا أبحث عنك يا حسّان.. حتى أردّ لك المال..

خذّ مالك يا ولدي.. وانعم بقرش الحلال.. فالكذب لسان الشيطان.

ما أصعب الاختيار

الحيّ فقير فقير.. لا يسكنه سوى المعدمين.. هما جار وجارة..
فضح حبّهما عيون عشق جبّارة.. لا ترى في الحبّ عيباً ولا تقبل ملامة.
الولد صبيّ حدّاد.. والبنت عاملة في مصنع خياطة..
ما أن ينتهي العمل.. حتى يذهب ''فاضل'' مسرعا بأرجل عاشق..
ينتظر أمام باب مصنع الخياطة.. التي تعمل فيه سميرة..
يخرجان معا.. وقد استبدّ بهما جوع.. وأنف الجائع دوما حادة..
يتبعان رائحة شواء بائع ذرة.. يبتاعان كوزين.. ويعودان ليجلسا على مقعد خشبي طويل ألفاه.. في حديقة عامة.. فأصبح لهما عنوانا وقاعدة.. أو إذا كان الجوع لحوحا.. أكبر من كوز الذرة..
فالقدم وحدها تذهب الى كشك بائع الفلافل''عمي شحادة ''..
وقد ألفتهما عيناه وتعرّفت عليهما.. فكان يفرح بهما.. حب جميل يطلّ من عيون شاب وشابة.. والهدف نبيل.. بناء عش زواج جميل.
كلّ يأخذ (ساندويشة) تطفح بكرم العمّ شحادة.. ويعودان الى المقعد الخشبي.. والجوع ذئب والفريسة ساندويشة فلافل.. يلتهمان الساندويشة.. ويرتفع صوت ''فاضل'' ينادي على بائع الكازوز.. من فضلك زجاجة واحدة.. يتقاسمانها سعداء بفقرهما.. فالحبّ الصادق أقوى كثيرا من الجيوب المليئة.. الضحكة تسبق الكلمة.. والسعادة عصفور وعصفورة.. والتغريد أغنية عشق.. تملأ الحديقة فرحة.. كأنها الجنة على البسمة والضحكة وكلام الحبّ عائمة.
قبل أن تنعكس حمرة الشفق خدود سميرة.. يعود الحبيبان الى الحيّ.. ونعمة السعادة في العيون تتلألأ لامعة.
في عصر يوم سأل ''فاضل''.. هل سمعت عن ''عيد الحب'' ..؟؟

قالت: طبعا.. لكن يا خسارة .. الدنيا مقامات.. أكيد أنه لن يتعرّف على حيّ مثل حيّنا.

قال وقد استفزت هذه الكلمة حبا عارما في قلبه:

– والله أن حبّ أبناء الذوات.. ما كان يوما أكبر من حبّ لك في قلبي.

ثم واصل الحديث يركب الحماس صوته:

– هل تعلمين أنني منذ الأمس بدأت أقتطع من راتبي بعض النقود..

لأكون جاهزا في يوم عيد الحبّ.. وردة حمراء تضحك في يدي هدية مليئة بالحب صافية.. قالت رافضة.. قد علا صوتها فزع:

– لا..إذا كانت الوردة على حساب خاتم الخطوبة..؟؟

قال يربت على كتفها.. والصوت فيه حبّ وطمأنينة بالغة..

الإثنان معا وردة عيد الحب وخاتم الخطوبة..في عيد الحب سيكونان لك هدية رائعة..

عبقت وانتشرت رائحة عشق فاضل وسميرة في الحيّ كله..

ذهب والد سميرة الى بيت فاضل يهدّد ويتوعد.. وحدّد يوما يأتي به أهل فاضل لخطبة ابنته سميرة.. وإلا فهناك الرجل المقتدر ميسور الحال جاهز جاء يطلب يدها.

ضاقت الدنيا في وجه فاضل.. ولم يكرمه القدر بشهم ينتشله من هذه الضائقة..

انتهى الموعد المحدّد.. ولكن فاضل كدّ وجدّ واجتهد ليفي بوعده..

ويقدم وردة ''عيد الحب'' وخاتم الخطبة.. فابتاع وردة حمراء نضرة.. وخاتم خطبة..

وذهب كالعادة بعد انتهاء العمل.. والشوق يسبقه ليقف ينتظر سميرة بالوردة والخاتم.. أمام باب المصنع الذي تعمل به سميرة.. وإذا به يفاجأ بشاب يتقدّم من سميرة.. وفي يده وردة عيد الحب حمراء.. أخذتها منه باسمة ضاحكة..

وقد لمع في عين الشمس.. خاتم ماسٍ يلبس بنْصرَ يدِها اليمنى..

فتاه ضوء الشمس عن عينيه.. وباتت الدنيا ظلاماً.. وما عادت للنهار فائدة.

وطال الانتظار!

المكان بستان.. ملئ بالورود والأزهار..
فيه ساحة.. مليئة بألعاب الأطفال..
يلهون ويلعبون.. غافلين عن مشاكل الحياة..
بعيدين عن الهمّ والغمّ والأحزان
الضحك تغريد بلابل.. يطرب لها البستان..
وتتفتّح على ألحانها البراعم..
ما أجملهم!
فيهم البراءة.. ليس بينهم ثعلب ماكر..
إلا أنه هناك.. تحت شجرة زيتونة وارفة..
كانت عين عجوز.. تملؤها فرحة وبشائر..
ما أتعس الدنيا دون ربيع.. وعلى الغصن طلّة براعم.
تقاعد سليمان العجوز بعد أن حنت ظهره وظيفة في دائرة الشئون الإجتماعية.
ستون عاما قضاها العجوز مع أصحاب الحاجة والفقر والجوع..
خرج من دائرة الشؤون.. الضمير حيّ.. والقلب ملئ بالإحساس والعواطف..
ولم يجد مكانا يذهب اليه.. سوى هذا البستان..
كان في أشد الحاجة أن يرى ضحكة على وجه بشوش متفائل..
فلم يجده إلا في هذا البستان.. على وجوه هؤلاء الأطفال..
فأحبهم وارتاحت النفس إليهم.. وبات رفيقا للجميع..
يحميهم ويفض الخلاف والمشاكل بينهم..
فأنسوا له وأحبوه.. وباتوا إذا غاب يوما افتقدوه.
إلا أنه بين الفينة والفينة.. كانت هناك طفلة.

ذات جدائل شقراء طويلة.. وعيون خضراء جميلة
تهرب من بين أصدقائها الصغار.. لتجلس الى جوار العجوز على مقعد خشبي طويل تحت شجرة زيتون..
..فأحبها.. وكان لا ينسى أن يضع حبّات حلوى للطفلة ''شهيرة''..
وما كانت تتركه وتعود لتلعب مع أصدقائها إلا بعد أن يقص عليها قصة من قصص الأطفال الجميلة..
سألها ذات يوم سليمان العجوز:
- أليس لك جد يا شهيرة..؟؟
- كان لي جد.. عندما سألت عنه.. قالوا أنه ذهب الى الجنة..
وعندما سألت ..هل سيعود..؟؟
قالوا طبعا .. لا بدّ أنه عائد.. ومنذ ذلك اليوم ما زلت أنتظر..وما عاد .. ولكنهم يصرّون على أنه عائد.
ثم واصلت الحديث:
- هل ذهبت يا جدّي ذات يوم الى الجنة..؟؟
- لا ليس بعد يا صغيرتي.
- لا تذهب إليها.. فالغيبة هناك طويلة.. غيبتك لها وحشة..
لقد سألت عنك كثيرا.. حين كنت مريضا.

مرت الأيام.. مات الرجل.. خلا منه البستان.. والمقعد تحت شجرة الزيتون..
عاد جميع الأطفال الى بيوتهم.. جاءت أمّ الطفلة الى البستان ملهوفة..
تسأل عن طفلتها ''شهيرة'' :
- دخل المساء لماذا لم تعودي مع أصدقائك الأطفال؟
دمعت عينا الطفلة.. بكت.. اشتد نحيبها.. رمت رأسها على صدر أمّها:
- ذهب جدّي سليمان الى الجنة.. أريد أن أنتظره.. قد يعود متأخرا ولا يجدني.. فيحزن قلبه.. يعاقبني ولا يعود يقصّ عليّ من قصصه الجميلة.

السمكة وخاتم سليمان

رجل تستهويه الأحلام.. حياته خيال في خيال..
ينسى نفسه يهرب من صعوبة الحياة..
الأمنيات تعشّش في رأسه.. هي قريبة ليس في الدنيا محال..
في كل يوم يأمل أن الفرج آت مع موجة هناك..
في الطرف الآخر من شاطئ البحار..
هو صياد.. من سمك البحر يقتات..
شحّ الرزق ذات يوم.. قفز الى رأسه حدّوتة السمكة وخاتم سليمان..
ضرب الرمل.. والمندل.. وسأل السحرة..وكل من تعامل مع الجانّ..
الى أن أطلعوه على سرّ المستقبل وقادم الأيام..
أخذوا منه المال.. ووعدوه أن السمكة ستقع في شبكته خلال أيام..
والعلامة أنها سمكة لها لسان.. تتحدّث بلغة الإنسان.. جمالها يأخذ الأبصار..
لكن الإنتظار طال.. كل يوم يملؤه الأمل أن الخير آتٍ آت..
جاع البيت والزوجة والأطفال.. الى أن فاض الكيل بالزوجة.
هي ابنة صياد.. تعاملت مع البحر منذ نعومة الأظفار..
تقع وتنهض..تتعلم المشي على الرمال..
ذهبت تشكو الجوع الى زوجها..
إذا ما وقع في شبكته سمكة بها تقتات..؟؟
إذا بها تجده يصطاد الموج..
يبحث عن السمكة التي وعده بها السّحرة ..

أخذت الشبكة.. وهو ما زال لاه.. تائه يبحث بين طيّات الموج..
يبحث عن طيف الأحلام..
رمت الشبكة وجاءها الرزق الوفير من عند الله..
ذهبت الى السوق.. باعت الأسماك.. واشترت ما تشتهيه نفس الأطفال..
وهيأت لهم مائدة.. كانت لهم في عالم الأحلام.
جاء المساء وعاد الرجل.. مرسوم على وجهه خزي وعار..
لكن رائحة الطعام تسربت الى أنفه.. الى معدة تشتهي الطعام..
سأل والدهشة تذوب في سائل اللعاب..
- طعام.. من أين جئت بهذا الطعام..؟؟
- جاءتني سمكة.. ما شاء الله جمال وكمال.. تتحدّث بلغة الإنسان.. قالت لي:
- قولي لزوجك.. أنا السمكة التي كانت أمينة على خاتم سليمان.. ضاع الخاتم في قعر البحر.. ولا أمل بعد اليوم في الإنتظار.

تاه القمر وأظلمت السّماء

الدنيا سكون.. والعالم بالأحلام مسكون..
الآذان صاغية.. والعيون حبّات جمر حائرة باحثة..
فالكون غير الكون.. والدنيا في بحار السعادة سارحة سابحة..
صراع صامت في الكون شديد.. أن يكون النهار أو لا يكون..
إنه النّفس الأخير.. خبر جاء به الغروب.. والشفق الحزين..
ودّع الشمس.. وغطّها بالموج.. في قعر البحر تستكين..
إنه عراك الصابرين الصامتين.. لا يدري عنه أحد..
سوى من هم في العلم راسخون..
لا شئ سوى صوت ناي.. يأتي من البعيد البعيد..
محمول على خيوط القمر.. يهبط من قمة جبل..
يعتليه كوخ قديم.. ينام ويصحو.. على ضوء سراج تداعبه هبات ريح..
ينام على كتفه قمر.. يلفّ الدنيا بخيوط من حرير..
ارفع الصوت يا صاحب النّاي..
العقل سلطان.. والكون بات أحلاماً..
عزف المسكين..وكان صوت النّاي حزيناً..
تاه منّي حبيب.. سأعزف للشمس..
حتى تطل عينها من وراء الجبل البعيد..
علّنا على نورها نلتقي.. الحبيب مع الحبيب.

قال القمر.. والوجه يحمل بشارة الخبر اليقين..
إنها هناك.. رأيتها تستحم في ماء نهر البساتين..
بدّل اللحن.. واعزف لحنا جميلا..
وإذا بالحبيبة تصعد الجبل.. تتبع صوت النّاي..
واجتمع الحبيب والحبيبة على قمّة الجبل..
عند الكوخ القديم.. يطلّ عليهما من عليائه القمر..
والسماء الفسيحة.. ساحة فرح.. والنجمات آهات طرب..
تتهادى مع اللحن الجميل.

ترى.. هل فهمتني الآن..؟؟؟

يا هذا.. يا هذا.. ما عاد لك في القلب مكان.. أشبعتني كلاماً..
حتى أن الحب والعشق.. بتّ أشعر أنه كلام في كلام..
يا لجبروت هذا اللسان.. تنقلني به من بستان الى بستان..
يطير بي الى القمر.. والعالم البعيد..عالم النجمات..
هناك.. هناك في أعلى سماء..
تسقيني به من عذب أنهار الجنّات..
وتهرب بي من فلك مدار..الى مدار..
حتى بات الكون بستاناً..
تحملني على عطر أريجه.. والجناح أوراق زهرات..
حتى بت تجوب بي الكون في خطوات..
وأنا في بحار السعادة.. مع الحلم في سكرات..
يا لجبروت هذا اللسان.. حتى الخيال بتّ تبعث به الروح..
والظلال تتلاشى في عذب الكلام..
كفرت بك.. وبهذا اللسان..
إذا كان كلامك فيه لذّة طعم الخيال..
فالحقيقة أنني امرأة..
تريد بيتاً وأطفالاً واستقراراً..
ترى هل فهمتني الآن؟
يا كلام دونما أفعال..؟؟

حلم عصفورة

عصفورة صغيرة تسأل:
متى يطول جناحاي يا أمّي..؟؟ ويأخذ ريشي جميع الألوان؟
تلمع في عين الشمس.. والعين تراني أجمل زهرة بستان؟
صوتي ينضج.. ويصدح بأجمل الألحان؟
قد يسمعني يا أمّي.. ليس في الدنيا محال..
ويقسو عظم منقاري.. أمضغ الحبّ.. وأطعمه لحبيب القلب..
يأتيني في ليلة مع الأحلام.. أريد أن أطير فوق الأشجار..
أخبرني أنّ عشّه هناك فوق الغمام..
نعيش معا هناك جارنا القمر.. والنجمات صديقاتي..
هناك ينزل بحمله الجمل.. وأنزل عن الهودج..
يمسك بيدي الحبيب.. تصعقني كهرباء..
ويلمع برق.. ويهدر رعد.. والمطر ينزل زخّاتٍ زخّات..
لا تقولي محال أمّي محال.. لا تقولي خيال.
من كان يصدّق أن القمر كومة أحجار..؟؟
سأركب المحال.. وأصل جناحي بألف جناح..
لا بدّ أن أجده ذات يوم.. يعشّش على شجرة..
في بستان إحدى النجمات..
ضمّت الأمّ ابنتها والدمع زخّات..
عودي الى نومك ابنتي..
مات حبيبك منذ زمن.. مات.. مات.

إن أصابك عزيزي القارئ حزن..فلا تلمني إنها ولادة عسرة.. جاءت من رحم الحياة.

سأعود وألبس حذائي الجديد

طلّت عين الشمس.. وطلّت الفرحة من عين الصغير..
اليوم عيد.. سيمتلئ جيبي بالشواقل..
سيكون لها في جيبي رنين.. سأركب الأرجوحة.. وفوق الغمام أطير..
أتسابق أنا والرفاق والأصدقاء المقربون..
وأشتري أصناف الحلوى من جميع الدكاكين..
سأرتدي البنطال والحذاء والقميص الجديد..
سأبدو كزهرة البستان.. ملابسي لها جميع الألوان..
فجأة إذا بصوت له نعيق البوم لئيم..
يقتل أحلام الطفل.. ويعكّر صفو مدينة كانت تتهيأ لفرحة العيد..
منع تجول.. منع تجول..على الجميع أن يلزموا منازلهم..
كان الكلام أكبر من حلم الطفل.. أكبر من عقله الصغير..
ذهب لأبيه.. هيا يا أبي.. ألا نذهب لصلاة العيد..؟؟
قال الأب وكلماته تقطر أسى:
- لا..لا يوجد اليوم يا ولدي عيد.
قال الطفل والدمعة تسبق لسانه:
- لماذا يا أبي..؟؟
- مرّ العيد من هنا يا ولدي قبل قليل.. لكنه تاه عن بلدتنا.. لم يعرفها..
قال هذا بلد جديد.. الوجوه غير الوجوه.. والطريق غير الطريق..

كانت هذه البلدة بيدراً وكرماً أخضرَ.. مليئة بأشجار الزيتون والتين..
تغرّد على أغصانها ألوان وأشكال من العصافير..
قال الطفل والدمع يذرف من عينيه غزير:
ألن يعود يا أبي العيد..؟؟-
سيعود يا ولدي.. لقد وعد.. وهو لا يخلف المواعيد..
- متى..؟؟
- عندما يعود الربيع الأخضر.. والوجوه التي كان يعرفها .. تعود وتتكرّر.

الوحش أسد.. والفريسة غزال

وسّعت الشمس لنفسها بين غيم ثقيل أسود مكفهر..
أكسبت الدنيا لون العتمة.. ومحت عن الأرض أشكال الظل..
وباتت الدنيا كئيبة.. فيها ذل الانكسار..
طلّت الشمس بعينها من خلال فجوة بين الغيم..
وأرسلت على خيوطها رسالة لزهرة البستان..
تبعث في النفس طمأنينة.. والصمود للشجعان..
أن لها عودة.. والدفء آتٍ لا محالة..
لكن الرعد غضب هدر وحذّر وأنذر..
فاختفت الشمس خلف الغيمة مقهورة مذعورة..
فالبرق أشعل السماء ناراً.. وانهمر المطر أنهارا..
بعد ليل طويل توارت فيه الشمس في طرف الدنيا الآخر..
عادت وعجّلت الشمس الخطى على صفحة السماء..
وطلّت على زهرة البستان.. تمنحها حياةً ودفئاً حناناً..
وإذا بالسيل قد لوى عنق الزهرة.. والوحل بات فوقها..
كالأسد والفريسة غزال.

احرص مكر الفقر

خرج الرجل كعادته كل صباح.. يرتدي لباسه الأنيق..
الأزرار من ألماس.. والحياكة خيوط ذهب..عكفة عصاه رأس أفعى من الذهب.
..عيناها لؤلؤتان تعكسان عين الشمس ألوانا لها العجب.. يضرب الأرض بها كأنه ما اعتلى ظهرها قبله بشر..
تحيط به ثلّة من الرجال..عبيد وخدم وحشم..
أخذ يتفقّد أمواله وعقاراته.. ومدّ الأرض الواسع الذي لا يصل الى حدودها بصر..
قال يهزّ عصاه والصوت فيه تهديد وحذر: يا فقر.. ما ظننت أن عينيك تجرؤان على الوصول الى حدود هذا المال.
لن تجرؤ بعد اليوم أن تصل عتبة بيتي.. ولن تحوجني الى السؤال.. وذل مدّ اليد.
فالماضي ولّى.. وما عدت الشريك الذي أشقاني.. وهدر كرامتي.
مضت الأيام والرجل يكبر.. والمال يكثر.. والفقر يمكر..
ركب البحر تاجرا.. غرقت بماله السفن..
سلك طريق الصحراء قوافل على ظهر الجمال..
آلاف كمدّ البصر.. تحمل من البضائع ما عجز عن حصرها وعدّها دفتر وقلم.
تاه الدليل.. وطال الطريق.. وهزلت الجمال..
وهوت بحملها تغوص تحت الرمال.. وانطوت وما بان لها أثر..

دفع كل ما يملك من مال.. وباع الأرض والعقار..
ولملم خيوط الذهب عن ملابسه..
وجرّد عصاه من عكفة رأس الثعبان الذهب..
باعها وما زال الدائن يطلب المزيد.. فالدين أكثر وأكبر.
الى أن أطلّ الفقر برأسه.. ساعة أن أذلّ الرجل الجوع.. ومدّ اليد يسأل.
ضربك الغرور.. وغرّتك النّعم.. ونسيت أنك لست سوى بشر.

سرقت قوس كيوبيد

ضحكتها تملأ الدنيا.. إلا أنه كان يشوبها.. نغمة حزن لا تخفى على الصديق..
وجهها يطفح نورا.. لكنه نور قمر يلفه سحاب أسود ثقيل..
هي رسول حب وأمل وتفاؤل.. لكن الصوت كان كئيبا حزينا..
تجرأت وتسلّلت الى عقر دار ''كيوبيد'' إله الحب..
أخذت القوس تطلق سهام الحبّ تجمع بين قلب كل حبيب وحبيب..
الى أن جاءها يوماً صديق مقرّب قريب.. يسقط قناع الزيف عن وجه كئيب..
تلوّنه الأحزان .. يكشف عن تاريخ طفولة عذّبها.
تعسّف أب جاهل جبّار عنيد..
هي وحيدة أبٍ مبدؤه ''العصا من الجنة''.. '' أو العصا لمن عصى''
فكم تكسّرت عصيّ على جسد زوجته..
الأم تصرخ والطفلة تستغيث..
والسّبب أنهم وضعوا المرأة وإبليس في كيس.. فخرج إبليس من الكيس يستغيث..
أي أن المرأة أخبث من إبليس.. وأنها سبب كل شرور الدنيا..
فتسمعه دائما يردّد قول الله تعالى.. ''إن كيدكنّ عظيم''.. أو المقولة السائدة..
''في كل جريمة إبحث عن المرأة''.
المهم أن يجد الرجل سببا لينفث سموم شروره على بيته..
مقتنعا أن البيت لا يستقيم إلا بهيبة الرجولة تسيطر على البيت..

حتى يقطف الرجل متعة عبودية وطاعة المرأة.. التي أصبحت له في البيت شريكاً.

كبرت الطفلة ولا أمان لها سوى حضن أمها..

تهرب إليه كلما سمعت صدى صوت عصاه تضرب الطريق..

تعلن عن قدوم أبٍ جبّار عنيد..

قالت والصوت مرتعش حزين.. يقع القوس من يدها..

وجعبة السهام تسقط تنتثر على أرض الطريق.

أريد أن أسعد الدنيا.. أريد أن أراها حبيبا وحبيبا.

لا أريد لطفل أن يكبر.. وتكبر معه ظلال الخوف.. حتى يلبس قناع زيف.

قال والحماس يرفع صوته:

– إذن ارم عن وجهك قناع الزّيف.

قالت:

كيف وقد زرع أبي في النفس الخوف.. والرعب نبات الشياطين..

وقتل كل شئ جميل.. كلما اقتلعته.. عاد ونبت من جديد كرؤوس الشّياطين.

عودة الكابوس

تعدى الليل منتصفه.. الدّنيا ظلام.. هاجر القمر من سماء المدينة.. تمسك بأذياله النّجمات.. أطبق الغيم الكثيف على عنق الفتاة.. فضاق الصدر وعزّ الهواء.. علا صوتها صراخا أفزع الرعد.. وتوارى خلف الغيم القمر شاحبا.. والنّجمات غمسن رموشهن في كحل الليل.. فعمّ الدّنيا رهبة وساد سكون.

كابوس.. كابوس يطبق على عنقي.. لولا أنني أمسكت بذيل الروح.

كانت الملائكة تزفني الآن في أعالي السّماء..

ضاقت الدنيا في وجه الفتاة.. ذهبت الى الكنيسة.. جلست على كرسي الإعتراف:

الذنب كبير.. كيف الخلاص يا أبي..؟؟

قال الراهب:

– طهّري نفسك بالتوبة يا ابنتي.

عادت الفتاة عازمة على التوبة والخلاص.

نامت.. إذا بالكابوس جهنم.. والنار انفجار بركان.. تسبح فيه..

والنار تحيط بها من كل مكان.. استعاذت بالله من الشيطان..

لكن اللسان كان يابسا والحلق جافا.. أمسكت بكوز الماء تحاول أن تشرب

بعض قطرات.. وإذا دويّ الرعد انفجار.. أرعب الفتاة.. وأسقط من يدها كوز الماء.. ودقات القلب صراخ آهات

كان صوت المطر يهطل من الغيمات زخّات زخّات.. الدنيا ظلام.. والقمر والنجمات في الطرف الآخر من السماء.

تعرّت من ملابسها وخرجت تقف تحت ماء المطر الطهور وأطالت الدعاء..

غسلت الذنوب.. ولبست ثوب الطهر.. كأنها الوليد من رحم أمّه نزل ومعه البراءة والنقاء

عادت.. ودخل معها السلام والأمان .. نامت نوما هادئا.. ما عرفته عينها منذ سنوات لكنه الشيطان.. عاد وزيّن لها الذنوب.. فنامت في حضن الخطيئة..

وعاد لها الكابوس أشرس ممّا كان.. فعاد يأكلها القلق.. والخوف سيطر.. فذهبت تجلس على كرسي الإعتراف.

قال الراهب يشفق عليها :

- أعلنت التوبة غفر الله لك.. عدت الى الخطيئة.. عاد الشيطان ومعه الكابوس يؤرقك..ويقضّ مضجعك. شرط التوبة أن تكون توبة نصوحا..لا رجعة فيها يا ابنتي.. تقربي من الله فيها.. وستنعمين بالراحة مدى الحياة .

"غفت عين رجولته"

هما جارة وجار.. وشى بهما الحب.. ومضة برق.. وطلّة قمر.. صعقة نجم.. وهدير رعد.. ونداء ملهوف رآهما الأعمى.. وسمعهما الأصمّ... زفة عريس وعروس.. الرقص كان على أنغام مزمار ودفّ وطبول.. .وزغرودة من أمّ العروسة.. تجاوبها زغرودة من أمّ العريس.. وما أن أمست الدنيا.. حتى علا صوت الفرحة تنادي القمر والنجوم.. صبّوا على كوكب الأرض شلاّل نور.. يفرح به الأهل والجار والمحبّون.

هما زهرتان فتى وفتاة لهما عبق أريج.. للعشق عطر فوّاح وعبير.

قال الفتى : أنا البستانيّ يا زهرة البساتين.. ما رأيك أن نجمع الشمل عروسين..؟؟

على هذا تمّ الإتفاق.. لا تغيير.. الله شاهد.. أو الموت بديل.

لكن كان للقدر قول آخر.. فرّق بينهما.. ورسم لكل منهما طريقا.

تقدّم للفتاة عريس.. فرضه عليها الأب والأخ والعمّ.. وكان إبليس شريكا.

تزوجت الفتاة.. وكانت ما تخشاه .. فقد أخطأ اللسان.. وبدّل أسم الزوج

بإسم الحبيب.. فالزوج اسمه «عادل».. والحبيب «رفيق».

وكانت ليلة شهدها الغرام.. ثورة وشهوة وسعادة.. ليس لها مثيل.. بعد قبلة هوجاء أنستها الماضي والحاضر.. والدنيا أصبحت قمرا ونجوما..وثورة أغان وجنون..

تاهت وتلعثم اللسان ''حبيبي رفيق''.. وإذا بالزوج إعصار.. تنّين أشعل الدنيا نارا..

دمّر البيت على رأسها.. دون رحمة.. والنظرة احتقار.. على سريري تنادين العشيق..؟؟!!

أمسك بيدها.. والليل كان في النزع الأخير.. طرق باب أهلها.. وردّها طالقا بالثلاث..

لا يردّها شرع ولا دين.

سمع بقصّة طلاقها الحبيب الأول ''رفيق''.. وكان ما زال لها في القلب صورة..

وفي العين دمعة.. وفي الشريان حّب.. يدور مع الدم خليطاً.

مضت أيام العدّة.. وكانت زوجته على سنة الله ورسوله.

والشوق في القلب حريق.

جاءت ليلة الدخلة.. خلعت العروس فستانها الأبيض.. اقترب منها زوجها ''رفيق'' قبّلها.. وإذا به يرتدّ عنها.. كمن لسعته نار حريق.

اعتلى صوتها دهشة.. السؤال كان في الصوت والعين غريبا:

– ما بك يا حبيب..؟!!

قال والكلام ثورة : عودي وارتدي ملابسك.

عادت تسأل والدهشة في الصوت والعين تزيد:

''ما بك يا حبيب''..؟؟

أليس هذا الجسد.. الذي كنت تشتهي.. والفراق كان مرضا استبدّ بك وكاد يقتلك ويفنيك.. ؟؟

قال والصوت محبط.. واليأس به محيط :

– رائحة طليقك ''عادل'' ما زالت تفوح من جلدك!

يا لتعاستي.. كلما غفرت لك ونسيت.. تذكّرني رائحة جلدك بالخيانة والعشيق.

قالت مذهولة: مجنون.

قال: يا لحظّي التّعس.. غفت عين رجولتي ساعة ونسيت أن التاريخ لا يذكر سوى الرجل الأول.. والفتوحات لا تذكر إلاّ بقائدها.. والبقايا والفتات للضعفاء المساكين.

علا صوت الكرامة في صدرها:

– أنا بقابا ..أنا فتات أيها الحقير..؟؟

هرب من الغرفة بثورته.. فالحبّ ما زال لها في صدره ودّ وحنين.

مضت الأيام وهما ما زالا على هذه الحال.. دموع حبّ.. دون اشتهاء..

الى أن ملّت الزوجة وطلبت الطلاق.

قال مذهولا: تتركينني.. ؟؟!

سأعود الى طليقي عادل.. أركع عند قدميه أستغفر.. أعيش في ظل رجولته

أسد له عرين.

قال ملتاعا: وأنا ..؟؟!

– أنت تائه.. تظن أنك رجل.. والرجولة براء منك يا مسكين.

قال وفي صوته توسّل وضعف ولين:

– دونك أموت.

قالت: الى جهنّم وبئس المصير.. والله أن جهنم أرأف وأرحم بك من العيش مع زوجة.. نسيجها من كرامة.. والأصل كريم عريق.

صخرة الإنتحار

صخرة مرتفعة تقع داخل البحر.. تبعد عن الشاطئ بضع خطوات.

لها عاشقان.. عاشق الغروب.. يصعد الى قمّتها يتمتّع بقرص الشمس يهوي الى قعر البحر بعد عراك في طرف الطرف الغربي من حدود السماء.. بين قرص الشمس.. وبداية عتمة الغروب.. تخضّب الأفق بلون الأرجوان.. منظر يشتاق إليه قلب العاشق.. وحكمة تردّدها الشمس صباح مساء..

لكل مخلوق على هذه الأرض.. شروق وبداية حياة.. غروب وموت وعلى الدنيا السلام.

أما الآخر.. فهو عاشق الموت.. وقد عذّبه عشق وغرام.. وحياة كلها أحلام.. وإذا بالحب فجأة ينسحب من حياته.. ولا يجد أمامه من طريق سوى الموت انتحاراً.

كان لاعب قمار.. صعد الى قمة صخرة الإنتحار.. وقد عزم أن يموت في حضن شلاّل ضوء القمر متمتعا.. يلهو ويلعب مع النجمات.. فالمال والنساء حبه الأول والأخير حتى الممات..

وإذا بفتاة تصعد قمة الصخرة لاهثة تعبة.. توقظه من متعة أحلام الموت في حضن شلاّل ضوء القمر.

سألها وقد بهره جمالها:

– ما الذي جاء بك الى هنا.. ولك كل هذا الجمال.. ؟؟

قالت : جئت أضع يدي بيد الشمس.. أغوص مع قرصها ساعة الغروب.

نظر الى أفق المغرب.. وجد الشمس قريبة من سطح ماء البحر قال:

– هي ساعة تمرّ وتحضنين قرص الشمس.. وتغوصا معا في عمق البحر.

قالت وقد وجدت فيه شابا جميلا.. لا ينمّ شكله عن يأس ولا تعاسة في الحياة.

وأنت.. ترى هل المشكلة كبيرة للدرجة التي أتت بك الى هنا؟؟

قال: قرّرت أن يكون كفني شلاّل ضوء القمر.. والدنيا في أجمل طلاّتها بهاءا وجمالا..

يلفّني القمر بشلاّل نوره.. وأسلّم نفسي الى البحر.

جلس الاثنان كل ينتظر دوره.. ولكن قبل ان يسلّم قرص الشمس نفسه لماء البحر بدقائق..

إذا بغيمة سوداء كثيفة.. تغطّي نور الشمس.. فتحتار وتتوه الفتاة عن الموعد المحدّد الذي يجب ان تضع فيها يدها بيد قرص الشمس.. ليغيبا في قعر البحر.

ضربت الفتاة كفا بكف: ما أتعسني ضاعت فرصتي.

قال الرجل: لا تيأسي.. هي ساعات ويعود قرص الشمس غدا ليغوص في عمق البحر مرة أخرى.

دعينا نقتل الزمن بالحديث.. فالوقت أمامنا طويل:

ترى ما دافعك الى الإنتحار ؟؟

قالت : هي قصة عشق.. أقولها باختصار.. كان عشقا متبادلا.. أحببته شابا جميلا مثاليا.. فيه جميع الصفات التي تحبها أي فتاة تتوق الى حب وعشق..

كما أنه أحبني كفتاة فيها جميع الصفات التي يشتهيها ولاقت هوى في نفسه..

تزوجنا.. أخلصت له.. أعطيته عطاء الزوجة المحبة الوفية مالا وحبا وعشقا وحنانا ورعاية..وكل ما يشتهيه الحبيب من محبوبته.. عدت الى البيت بعد غياب ثلاثة أيام..

وكنت قد اختصرت الغيبة دليل محبة.. إذا بي أجد في سريري عريانا وعريانة..

وغناء الفحش يصدح في أرجاء غرفتي.. أمسكت بيده وذهبت به فورا الى المأذون..

وكان طلاقا بالثلاث.. لا عودة فيه.. طردته من بيتي وعشت مع الوحدة أياماً..

تعبت وتعبت الوحدة مني.. وسلكت جميع الطرق التي يمكن أن أنسى بها نفسي.. فلم أجد طريقا ترحب بي سوى هذه الطريق.. أصعد الى هذه الصخرة.. وأتخلص من نفسي.

قال يؤيدها منفعلا:

– صدقت.. فخلاص النفس لا يكون إلا بالإنتحار.

قالت: وما قصتك.. ؟؟

كنت تاجرا أنعم الله عليّ بالسمعة والمال.. كان لي عند جميع تجّار المدينة كلمة صدق ومحبة.. ومدير البنك كان يرفع لي قبّعته تقديرا واحتراما.. فالمعاملة.. صدق واحترام ومحبة والتزام.

جاءني الشيطان.. حدّثني بلغة لاعبي القمار.. أقنعني.. وكنت عن النعمة تائهاً غافلا.

جلست على طاولة القمار مساءا والجيب ملآن.. خرجت مع صوت الديك يصيح..

يا لهذا الرجل.. كان اليد العليا تعطي.. فإذا به اليوم اليد السفلى.

ما صان النعمة.. وما عاد له بين الناس احترام.. فجئت الى هذه الصخرة من عذاب ذلّ السؤال.

انتصف الليل.. وأصبح القمر في كبد السماء.. إذا بغيمة كثيفة سوداء تغطّي وجه القمر.. وتحجب نوره عن الأرض.. فتاه الرجل.. لا يعرف متى يلقي بنفسه الى البحر.

قالت تواسيه وتواسي نفسها:

— حسنا إن غدا لناظره قريب.. ننتظر الغد.. علّنا نحقّق ما تصبو إليه النفس.

هبّت نسمة هواء باردة.. ارتعش لها جسد الفتاة.. اقتربت من الرجل تحتمي بدفء حضنه.. فشعرت بنعمة الدفء.. نظرت الى عينيه..

تاهت عمّا يعتمل بالنفس من عذاب.. شعرت بالأمان.. تبدّلت الدنيا.. تغيّرت.. شعرت أن حضنه أكبر من حضن الدنيا كلها.. مليء بالحب والعطف والحنان.

سألها فجأه : ماذا تقولين..؟؟

قالت مندهشة : لم أقل شيئا.

قال : لكن نفسي همست لي.. بكل ما اختلجت به نفسك من حسّ وشعور وآمال.

قالت : لكنني اقسمت أن أصعد الى هذه الصخرة.. ولا أعود.

قال: دعينا نعطي العمر فرصة أخرى.

قالت : لا أريد أن أعود الى شرور الدنيا.. فالنفس ما عادت تحتمل المزيد.

ازدادت شدة البرد.. دفعت نفسها في عمق حضنه أكثر.. تبحث عن دفء أكبر..

أوسع لها.. التقت العين بالعين وكان فيهما محبّة ورضى.. وزحفت الشفة الى الشفة..

وبدأ الدفء يسري في الجسد.. بجحيم من القبل.

ازدادت شدة البرد ضراوة أكثر.. وبدأ هطول المطر.

قالت وقد بدا برعم من حب للحياة يتفتّح في صدرها:

– ما عاد لنا قدرة على المكوث هنا أكثر.. لن تبزغ عين شمس في مثل

هذه الأجواء.. ولن يطل قمر..هيا نذهب الى بيتي.

استبد بي جوع.. لا دفء.. بلّلنا المطر.. نعود غدا عندما يرتفع المطر.. وتذرو الرياح الغيم.. وتطلّ عين الشمس .. ويسبح في السماء قمر.

مضت الأيام طوالا.. ارتفع المطر.. وارتحل الغيم.. وصفت السماء.

وكلما ذكّر أحدهما الآخر بالوعد وصخرة الإنتحار.. امتعض الآخر..

وتحجّج يعطي العمر يوما أطول.. الى أن علت الفرحة من عمق صدرها..

هيا نهدم صخرة الإنتحار أيها الحبيب..

قال مندهشا : والوعد..؟؟

– لتذهب كل الوعود الى الجحيم.

قال وما زالت الدهشة تملأ وجهه:

– لماذا.. ؟؟!!

وضعت كف يدها على بطنها.." حامل"..

جاء من يعطي للدّنيا حياة وحبا .. أثمر الحب وانتصر..

إذا كان ذكرا اسمه شمس.. وإذا كانت انثى اسمها قمر.

عالأصل دوّر

يحكى أن وردة في بستان.. كان لها هيبة وجمال.. أحبها البستاني وأطلق عليها اسم ملكة البستان.. كان يحبّها ويرعاها.. ولا يسقيها سوى الماء الزلال.

حفظت الجميل.. أحبته وتعلّقت به.. وأصبحت عندما تراه في كل صباح.. تتطاول بعنقها.. وتنفض الغبار عن بتلاتها.. وتطلق أجمل عبير عطورها.

ذات يوم وبينما كان البستاني يرعى وردات بستانه.. إذا بوردة غيورة مشاكسة.. تنشب إحدى شوكاتها بيده.. فأدمتها وسال الدم منها.

حزنت ملكة البستان.. وتألمت لألم صديقها البستاني.. فأوحى لها إخلاصها ووفاؤها أن تكافئه.. قلعت أشواكها.. وصبغت بتلاتها بألوان ريش الطاووس.. ونظّفت عنقها من الورق الأخضر.. وعطّرت نفسها وذهبت الى البستاني صديقها تتهادى وتتبختر بدلالها.. تهدي إليه نفسها.

دهش البستاني من منظرها.. شكرها.. وخصّص لها مزهريّة في إحدى زوايا البيت.. ثم نسيها.

استاءت الوردة.. وافتقدت الحب والدلال والإحترام والعناية التي كان يوليه لها البستاني في كل صباح.

فحزنت وعادت تغرس نفسها في أرض البستان.. فرحت بها زميلاتها.. وانهال عليها الندى تقبيلا.. يبدّل الدمع بحبات لؤلؤ.. محبةً واشتياقاً.. وفي المساء

أهداها القمر نوره.. ونزلت ترقص على بتلاتها النجمات..

فانتعشت وعاد لها جمالها.. ونمت وطالت أشواكها.. فعاد عشق البستانيّ لها.

وكان ما زال في النفس كدر من عقوق البستانيّ.. أحبّت أن تنتقم منه..

فأدمت إصبعه بوخزة من إحدى شوكاتها.

فهم البستانيّ.. ضحك.. وانطلق يغنّي:

على شان الشوك اللي في الورد بحب الورد

وأتمنى جرحه وتعذيبه

وإن عشق القلب يهون الجرح.

منذ ذلك اليوم.. تعلّمت الوردة أن لا تعبث بألوان الخالق الذي رسمها على بتلاتها وأن لا تتخلّى عن أشواكها.

من خراريف زمان

الشيخ محمود عجوز القرية المبارك.. صاحب اليد الشّافية.. والدّعاء المستجاب.. والكلمة المسموعة.. والبيت الذي لا يخلو من مريض جاء يطلب البركة والدّعاء والشّفاء.. أو من مريض نفس.. يعتقد أنها لوثة جنّ من أحد الشياطين الكفّار الأشقياء.. أو من سيدة جاءت تستفسر عن حلم.. قضّ مضجعها.. وأرّق منامها.. وعكّر عليها صفو الحياة.

هو الجد كبير للعائلة.. تملأ رأسه مشاكل الأولاد والأحفاد.

أرض العائلة كبيرة شاسعة واسعة في القرية.. إرث عن الآباء والأجداد.

اختلف الأولاد والأحفاد.. وأصبح لا بدّ من تقسيم الأرض.. فكان أن سبّب وضع شجرةٍ زيتونةٍ معمّرة خيّرة.. كثيرة الرزق خلافاً.. فهي تقع عند نقطة ملتقى حدود جميع الأطراف.. حين طمع فيها الجميع.. وكان للشيخ محمود كبير العائلة وسيّدها كلمة الحسم.. الذي كان فيها قول الحق والعدل:

– نرعى جميعا الشجرة.. وعند القطاف.. نقتسم الرّزق بالعدل والقسطاس.

فارتضى الجميع.. وكان في هذا الحكم خلاص من فتنة.. بدايتها شرارة.. ونهايتها نار.

الى أن جاءت يد الفتنة.. يحرّكها عقل شيطان.. كان الحقد والغيرة قد استبدت

بها.. فالعائلة متحابّة متماسكة.. والزّيتونة كريمة معطاء ليس كمثلها شجرة في القرية.

تسلّلت في قلب سواد عين الليل وقطعت الشّجرة.

نهض العجوز كعادته مع الشّروق يتفقّد الأرض.. فإذا بالشّجرة الطويلة الفارهة التي كانت تقف فاردة.. أغصانها تسبّح ربها.. راكعة على الأرض تشكو الى الله من فصل ساقها وأغصانها عن جذورها.

اجتمعت العائلة.. صغيرا وكبيرا.. جدا وأبا.. حفيدا.. كل يتّهم الآخر.

بدأ الحديث بينهم عتابا.. ثم اتهاما.. ثم صراخا.. ثم عراكا.. ثم دماً مُهراقا.. إلى أن فصلت عتمة الليل بين المتعاركين.

في الصباح الباكر.. وقبل أن يبدأ العراك بين أفراد الأسرة.. طلب الشيخ محمود.. كل كبير عاقل من أفراد كل أسرة من الحمولة وقال:

- جاءتني الشجرة الليلة في المنام.. وطلبت منّي أن لا نتقاسمها حطبا.. وأن نتركها كما هي.. لأنها ستكون حطبة من حطب نار جهنم.. تحرق يد الجاني.. تدمر بيته.. وتتعرّف عليه.. لذا.. أرجو من الجميع.. الكفّ عن الإقتتال.. وكيل التهم للآخرين.. لأن الحقيقة ستظهر.. والأمر لا يحتاج إلا لشيء قليل من الصبر.

أذعن أفراد العائلة الى كلام شيخهم.. فهو المعروف بالأمانة والصدق.. وعلم تفسير الأحلام.

لكن مضت الشهور.. وجاء فصل الشتاء زمهريرا باردا.. جمّد الأطراف.. وأصبحت الحياة جحيما لا يطاق.. احتجّ الجميع صغيرا وكبيرا:

– الله أكبر نموت من البرد .. والدفء أمام أعيننا حطب شجرة الزيتون!!

والله ما سمعنا عن حياة بشر يتحكّم فيها حلم!!

إلا أن هيبة العجوز.. وشدّة بأسه.. وعزمه على الإنتقام من الفاعل.. منعهم من الاقتراب من الشّجرة.

كما أن أهل القرية كانوا يستهجنون ويستغربون أمر هذه العائلة.. حطبة كبيرة بهذا الحجم.. وأهلها يموتون من البرد!! لا بد أنهم مجانين.

إلا أنهم جميعا كانوا يخافون نبوءة حلم الشيخ محمود.. فما جرؤ أحد على أن يقترب منها.. فالشيخ محمود معروف بصدقه وأمانته.. ولا بدّ ان الحلم يتحقّق.. فهو الشيخ المكشوف عنه الحجاب.. المتعمّق في علم تفسير الأحلام.

إلا أن الجاني كان قد دخل دائرة الشيطان وما رحم نفسه.

انتظر ظلمة سواد الليل.. وتسلّل الى حطب شجرة الزيتون.. يدفعه البرد القارس.. وطالت يده بضع عيدان منها.. وعاد بها الى بيته.. وكانت شرارة جهنم.. أشعلت الدّار ووصل لهيب النار حدّ السماء.. بحيث رآها البعيد الذي يسكن أطراف القرية.

تكاثر أهل القرية.. كل يحمل ما توفر لديه من ماء.. يصبّونه على النار.

لكن ويا للعجب.. كلما صبّوا ماءً على النار.. كانت كأنها الوقود.. زادت النار اشتعالا.

عندها أيقن صاحب البيت.. ان لا بدّ له من الذهاب الى الشيخ محمود.. يطلب السّماح والغفران.. علّ النار تهدأ.. ولا تأتي على بيوت القرية جميعها.

وهكذا احترقت الفتنة مع حطب أغصان الشجرة.. وعاد أبناء العائلة أسرة واحدة.. أعزاءَ أحباء.

شيطان البحر

كانت الشمس مشرقةً.. والجو جميلاً.. والنسيم عليلاً.. كل شئ يدعو الى التفاؤل والبهجة.

أمسكت بيده لا تملّ النظر الى عينيه.. ترى بحور حبها بألوان السحر.. ألوان قوس قزح.. غمس الحبيب ريشته ببؤبؤ عين الشمس.. تنظر الى عينيه تقرأ قصيدة.. تصغي السمع.. تسمع لحنا يرقص له القلب.. أمسكت بيده.. دخل الأمان والطمأنينة عمق القلب.. أين الشمس.. أين القمر.. أين نجمة الصبح.. أين بريق النجم.. الدّنيا وسادة.. وعلى صدر الحبيب ما أجمل النوم.

أسرعا الخطى على رمال الشاطئ.. مركب العشّاق اشتاق الى التحرّر والإنطلاق.

أبحر المركب.. انعكس شكل الفتاة ظلا على سطح الماء.. انبهر البحر.. سبحان الخلاّق أعطى السماء قمرا.. وجمّل الأرض بهذا الشكل والرسم.

جاء النسيم من طرف البحر البعيد يسابق الموج.. عبث بخصلات من شعرها.. طار.. طار.. طار.. يحضن وجه حبيبها.

لكنّ للبحر شيطاناً.. رآها فطار منه العقل.. دخل عالم الإنس والجن..

كيف غاب عن عينه أجمل ما في الكون.

غضب.. وكان لغضبته زبد ملأ وجه البحر.. فابيضّت عينه.. لا يرى سفينة على سطح مائه.. ولا نزل القمر والنجمات يغسلن خيوطهن في بحر مائه..

غضب البحر.. زبجر موجه تنّينا يبتلع كل ما حوله.. واعتلى يصل حدّ السماء يملأ رذاذه وجه القمر والنجمات.. وبات الرعب يسكن قلب الكون.

والمصير أصبح مرهونا بعودة البصر وعودة الزرقة لعين البحر.

وكان للشيطان هو الآخر صوت.. أعطني الحسناء.. وأردّ لك البصر.. وزرقة العين.

احتار البحر بين البصر.. ولون زرقة العين.. وفتاة هي أجمل ما في الكون.

سمعت الفتاة الحوار.. ورأت بعينها قرب خراب الكون.. فرمت بنفسها الى البحر.

المرأة الشّيطان

هما طفلان جارة وجار.. فرحت بهما الدّنيا.. وفرشت لهما الأرض بستاناً.. ورودا وأزهاراً..
والعطر شذى الريحان.. وعلّقت لهما الشجرة على غصنها أرجوحة الأحلام..
تطير بهما فوق حدود السماء.. حدّ النجم.. حدّ القمر.. أمسكا بالغيم والقلب سعيدٌ فرحان.. والضحكة شدو..
عصافير وهديل حمام.. لا يحجبهما عن بعضهما سوى الليل.. تغمض العين.. والحلم له جناحان يطير بهما حول الكون.. والملاك الحارس للأطفال يفتح لهما حضن الجناحين فراشا وثيرا فيه المحبة والأمان.
تفتّح البرعم باكرا.. والحب ما زال في عمر المراهقين.. دخل القلب.. أصبح في العين خجل.. والكلمة في كفة الميزان لها وزن ثقيل.. والليل بات سهرا وأحلاما.. والنوم عسير..
أمسك بيدها.. والجسد هزّه زلزال عنيف.. والورد هرب من البستان ونام على الخدّ اللون أحمر.. والعين قرأت حب العاشقين.

قبّلها.. أبرقت سماء.. وهدر رعد.. وأفلتت يد القمر من عقال السماء.. يجرّ في أذياله نجمات..
فالزفة زفة عروس وعريس.. هيأها لها الخيال.. فالعمر ما زال في عمر أحلام المراهقين.
كبر الإثنان.. وكانت الفتاة قمة في الجمال.. أما الشاب فدرس الطبابة..
وبعدها أخذته سهوة.. عرف فيها الله.. وخدمة الإنسان.. واختار لنفسه

كهفا على قمة جبل.. يتقرّب من الله.. ويهرب بعيدا عن مشاكل الدنيا والإنسان.. فكان ملاذا لكل صاحب حاجة.. أو طالب عون.. سواء أكان فقيرا.. أومريضا.. أو مخطئا.. زلّت قدمه ودخل دائرة الحرام والعصيان.
أحبه الناس.. فكان اليد الشافية للمريض.. واليد المعطاءة للفقير.. والناصح الأمين لكل من أخطأ وخرج عن قوانين الشرع والدين.. الكلام كان لا يخرج عن مضمون ما جاء في الإنجيل والقرآن الكريم.
أما الفتاة فقد أغواها الجمال.. ومغريات الحياة.. وكان الشيطان لها إماما.
ولكن ما زال حب الشاب صديق الطفولة مالكا للقلب.. عاشقا للروح..
ولكن من هذا الذي يستطيع أن يهبط بالحبيب من حب عشق الله الى أرض الدّنيا ورذيلة الشّيطان.. ؟؟
في ليلة أرق .. عذّبها الحب والعشق والإشتياق.. ذهبت إليه في قلب الليل وعين الكون نائمة..ولا حارس سوى عين القمر وبعض النجمات.. تسترق النظر من فجوات بين غيم شفّاف أبيض.. يفرش نفسه على صفحة السماء.. وقد حفظت من كلام الحب والعشق ما علّمتها لها منذ الأزل أمّنا حوّاء.. دخلت عليه رمت نفسها في أحضانه.. فزع.. ابتعد.. حوقل.. إستعاذ بالله.
بكت .. تأوهت من عذاب ليل لم تذق فيه طعما للنوم.. ولا راحة البال.
بدأت الذكريات من مرحلة الطفولة وأرجوحة الأحلام.. الى أول قبلة ارتعش فيها الجسد.. وانفجر فيها الحب بركاناً.
أمسكت بيده.. وانحدرا من قمة الجبل القريبة من السماء.. الى قاعدة الأرض حيت المكان الذي كان فيه ثالثهما الشيطان.
استعادت الفتاة حبيبها.. وعادت أيام العشق والحب ناراً.. نسي فيها الشاب قمّة الجبل.. وصوت صلاة الملائكة.. تشنّف الآذان وتقوّي الإيمان.. وغبّ من شهوات الدنيا كأسا قدّمته له يد الشيطان.

في الصباح طرق الباب .. كان مريضٌ وفقيرٌ ورجلٌ ضالٌ يقفون على الباب.
فتح الشاب الباب.. عبقت رائحة الخمر تزكم الأنف.. والعشق والفجور ألوان.
أشاحوا الوجه عنه.. وانصبت عليه اللعنات تخرق الآذان.
نظر الشاب حوله.. رأى نفسه في بؤرة الضلال.. غضب.. أمسك بالفتاة يضربها واللعنات تنصب عليها شلالًا.. قتلها.. وكانت وسوسة شيطان.
صحى على نفسه.. كأنه كان في غفوة.. استغفر ربّه ولعن الشيطان.. وعاد يسلك طريق الجبل والإستغفار والتوبة حبل موصول بين الأرض والسماء.

معقول..؟؟

هما جاران.. طفل وطفلة في عمر البراعم.. يلهوان ويلعبان..

للحيّ بستان.. على فرع شجرة كانت لهما أرجوحة.. يطيران بها مع الأحلام.. مع طلّة الصباح.. مع أول زقزقة عصفور.. شباك وشباك آخر بالمقابل.. يطل منهما وجهان بريئان..

يلقيان تحية الصباح.. والصوت ذابلٌ نعسان.. والجفون ثقيلة.. ترزح تحت نعاس ما زال يمسك بأهداب الأحلام.. التثاؤب يعلو.. والتحية تذهب للصديق مغموسة بالكسل.. تفوح منها رائحة النوم.. ما زالت تتمطى على فراش الأهداب.

هل شربت الحليب حبيبتي؟

لا.. والصوت فيه لهجة الذنب.. يعلوه الخجل.. والوجنتان يعلوهما احمرار.. إذن متى نكبر .. عريسا وعروسا أحراراً..لا تأنيب ولا تاديب.. ولا شدّ أذنٍ.. كيفما يحلو لنا نعيش..لنا حرية الإختيار؟!!

كبر الطفل والطفلة.. والحال كما هو.. رسول حبهما الشباك..

ولا جديد على ذلك سوى أن الحب كبر.. وأصبح له أحلام الشباب.. ووردة لها لون حمرة خديهما.. تطير على جناح الحب.. من شباك الى شباك..

تشي بحب كل منهما.. بعد أرق دام حتى آذان الصباح.

في مساء ذات يوم.. جاء والد الشاب بصحبة المأذون.. ومعه جاهة رجال.. تمّت الخطبة.. تبعها زواج بعد أيام.. وكان الشاب قد أكرمه الله بالمال والجاه.

التاجر الذي فتح الله على بصيرته كنوز هذا العمل.. وما بخل على نفسه.. فكان له قيلا.. ولها بستان.. وبستانيّ شاب يهذبها ويشذّبها.. ملأها بالزهور أشكالا وألواناً.. فأضحت جنة ليس لها مثال.. وخادمة تأتمر بأمر سيدتها.. تحسن العمل في كل مجال.

مضت الأيام وسطوة المال كان لها شوائب وغبار.. طغى على حب العم.. الذي كان الأمل. ومستقبل حياة.. وجذبه الى طاولة التجار.. وكبار أصحاب المال.. ولعب القمار.

فما عاد في حياته حب.. ولا التزام لبيت. وحياة زوجة فيها راحة واستقرار وأمان..

ومضت حياة الزوجة في الليل على شباك يطلّ على طريق عودة الحبيب..

أما النهار فكانت تقضيه مع الخادمة والبستانيّ.. تتغلب على حياة ملل يطول من طلّة الشمس حتى غروبها.. الى حين أن يتقدم البستانيّ من سيدته يسأل.

إذا كانت تأمره بشئ قبل عودته الى بيته.. وكذلك الخادمة.. وقد كانت معهما كنسمة الربيع رأفة وعطفا ورحمة واحتراماً.

الى أن جاء يوم وعدها الزوج أنه سيبكّر الليلة بالحضور..

فاهتمّت الزوجة بنفسها.. وارتدت جميع قمصان نومها.. حتى اختارت الأكثر إغراء.. الذي يكشف عن جسدها الجزء الأجمل.. وأفرغت زجاجة العطر الذي يحبه زوجها على نفسها.. وجلست على كنبة قرب الشباك تنتظر.. حتى

تعب القمر.. وملّت النجمات القلق الذي احتل عيني الزوجة.

غابت النجمات.. واندحر القمر.. تغزوه خيوط الشمس بألوان قوس قزح.. تداعب عينين أتعبهما سهاد ليل طويل.. فذهبت الى السّرير مفجوعة بحلم ليلة كانت تأمل أن تكون أسطورة تعيش معها مدى عمر السنين.

وقد كرّر الزوج كرّر الوعد مرات ومرات.. إلا أن سطوة طاولة القمار كانت تغلب الحب والوعد.

الى أن جاء يوم لفتت فيه فتوّة البستانيّ.. وضخامة عضلاته الزوجة.. ملأ الحرمان عينيّ الزوجة شهوة.. فكرهت البستاني..وأصبحت ذئبة شرسة..

تأمره بالمستحيل.. وتتعسّف به أكثر كلما شعرت بالضعف والميل إليه أكثر.. ومنعت الخادمة أن تقدم له طعام الإفطار أو كوب شاي أو فنجان قهوة.

الى أن جاء يوم وكالعادة أعطى الزوج وعدا.. أنه سيحضر الليلة أبكر..

ارتدت الزوجة قميص النوم الذي يحبه الزوج.. وأفرغت زجاجة العطر على الجسد حتى ثمل واستسلم.

لكن سطوة طاولة القمار.. .تغلبت على الوعد.. والبيت..وانتظار زوجة.

مع طلّة الصباح.. مع أول ضربة فأس في أرض البستان.. طلّت الزوجة بقميص النوم.. وشذى عطرها يتغلب على شذى عطر زهور البستان:

– صباح الخير.. عباس هل تناولت طعام الإفطار؟

الحمد لله سيدتي تناولته قبل أن أخرج من بيتي..

قالت: إذن تعال واشرب معي فنجان قهوة.

ما أرخص الرّشوة.. إذا كانت بسمة وفنجان قهوة

هم زملاء في شركة.. التوادّ والتّراحم والتحابب بينهم سائد..

هي الأنثى الوحيدة بين خمسة زملاء ذكور..

فيها من الجمال ما يجعل شاعرية عشّاق الجمال تثور..

ثقة وكبرياء الطاووس في مشيتها..

الأناقة لوحة تبرز قوة جاذبيتها..

كيفما سارت تنشر في طريقها أجمل شذى العطور.. الجميع في خدمتها.

الموظف والمدير.. حتى الفرّاش المزواج الحقير..

خطبوا ودّها.. وطلبوا يدها..

رفضت وكان الجواب.. الزّواج قسمة ونصيب..

أربعة من الزّملاء رضوا بالعبودية.. مقابل بسمة ودّ.. أو كلمة تحبّب من زميل الى زميل..

فور حضورها دوما ينشب بين الزملاء الأربعة خصام..

والثواب بسمة رضى.. من الذي سيقدّم لها فنجان قهوة الصّباح؟

حتى تدخّل المدير.. وأقسم أن فنجان قهوة الصّباح لن يكون إلا على حسابه.. مدى عمر السّنين.

أما عملها فكانت توزّعه بالقسطاس المستقيم.. على الزملاء الأربعة سعداء

راضين.

أما الزميل الرابع فقد لاقت من صدّه وجدّه واعتزازه بنفسه.. ما جعلها تصغر.. وتتحفظ معه في الكلمة والطلب.. وجدّية أمانة العمل.

كان له هيبة المعتز بالنفس الأصيل الكريم..

الى أن جاء يوم والجميع حضور..

اقتربت منه يعلو صوتها.. تلفت نظر الجميع:

– " أحمد" هل تقبل بي زوجة..؟؟

افترت شفتا الفتى عن بسمة.. فيها مرارة من استفزّت كرامته.

قال والعتاب يلوّن لهجته:

– أهي مداعبة غنيّ لفقير..؟!!

قالت وقد توّردت وجنتاها خجلا:

– معاذ الله.. ليس في أمور الزواج مزاح.

قال وفي اللهجة حسرة:

– إذن انتظريني الى يوم يصبح فيه مقدار الراتب يكفي ثمن فستان.. أو ثمن زجاجة عطر.

في صباح اليوم الثاني.. دخلت الفتاة المؤسسة.. والعيون مأخوذة تستغرب..

المشية فيها تواضع.. الوجه كما خلقه الله.. دون مكياج..

الفستان بسيط .. ولا رائحة عطر.

ورفضت فنجان قهوة المدير.

عتاب عاشق

هي شاعرة.. لم يعرفها.. ولم يتعرّف على شكلها أو صورتها.. أو حتى سمع صوتها.. لكنه عشق كلماتها عناقيد في سماء دفاتر شعره.. كلما اسودت النفس.. أو خسف القمر.. أو غادرت النجوم سماء دفاتره.. وتاهت في عمق الكون بعيدا عن سمائه.. قطف قصيدة من سماء دفاتره.. وعادت للدنيا شمسها.. وتفتّح ربيعها.. وعلت الضحكة بين شغاف القلب.. وعاد يعانق الدنيا.. يطير مع النسيم.. يمر على بساتين الورد.. ينهل من عبقها رحيقا.

كان للأرواح حديث.. هو أيضا شاعر.. مدّت يدها.. ومدّ يده.. وتعاهدا صديقة وصديقا.. ولكن من هذا الذي يستطيع أن يجبر القلب على حب.. أو كره.. أو حتى يعيش الحياة كما هي الحقيقة.

تمرد القلب على صاحبه.. وتعانقت الكلمات.. دفء شمس.. وبساتين ورد.. والخجل حبّات ندى لولي يلمع على خدّ القصيدة.

سحبت يدها والعتاب ملء العين.. خنت العهد صديقي.. ما هذا لسان فيه براءة الصديق.. هو حب قلب.. يقطر الكلام منه عشقا.. وقد برئت من هذا العشق منذ سنين.. وأقفلت أبواب القلب.. وماعاد لمثل هذا العشق الى القلب طريق.

وذهبت في طريقها لا تلتفت شمالا ولا يمينا.. وقد علا صوتي يتبعها :

– غفرانك سيدتي.. إن للقلب فلتات يفرّج بها عن نفسه.. كما أن للسماء شهب..كلما علا صوت عشق القمر للنجوم.. أطلقت شهابا من عمق صدرها.. ترتاح وتطفئ من نارعشقها حريقاً.

ليلة لا تنسى

موعدنا في قلب الليل.. في سواد عينه..

بعد أن تغفو عين القمر.. ويموت آخر خيط نور..

ويلفّ الدّنيا ظلام ..ويسود الدّنيا سكون..

السيارة عشّنا الليلة.. الجو دافئ..

وموسيقى المجون.. تطفح بالحب المجنون..

تحملنا بعيدا.. بعيدا..

عند التقاء طرف السماء.. بآخر حدود الأرض..

بعيدا عن عين كل حاقد متطفل شقي..

قالت متوجسة تنظر الى السماء بعين الخوف:

- والنجمات حبيبي!!

- النجمات عيون عاشقات.. تفانت في الحب لا تبوح ولا تشي.. اطمئني حبيبتي.. فالليلة ليلة العاشقين.. لن يتعرّف عليها النسيان.. ولها في الذاكرة حضور لا ينتهي.

عادت تمعن النظر الى سماء حبلى بالغيوم.. وريح مبلول.. تخفي بين طيّاتها حبّات طلّ.

قالت وفي اللهجة حيرة:

– حب.. وظلام ليل.. وعاصفة مطر!!

أيّ متعة في أجواء خطر..؟؟!! إنه حب الوطاويط حبيبي..

لا.. ليس هكذا حب البشر.

تنّهد وفي القلب حسرة:

– لا تطلبي المستحيل حبيبتي.. الحب هنا ممنوع.. جريمة.. دم.. زغرودة..رفع. عار..سكين....وغسل شرف..

دعينا نسرق الحب من حرّاسه.. ونطير كفراشات الربيع..

ننشر الحب حتى تتفتّح البراعم.. ويعم الدنيا بهجة وفرح..

حبيبتي اشتاق الى الهمس يدغدغني.. يطير بي عصفورا بجناح شاعر..

يطير في سماء فسيحة.. دليلنا ملاك.

تفانى في الحب إنسانا..

حتى اضحى ملاكا طاهرا..

كان الهواء عاصفا.. والمطر غزيرا..

ينزلق من غيمات.. أحرقها البرق..

واستبد بها رعد هادر..

يتبعها كعصفور.. والفريسة عصفور مرتعش خائف.

نقرت حبّات المطر على شباك السيارة تحتمي..

من برق صاعد.. ورعد هادر..

لكن الحبيبين كانا في غفلة عن الدنيا.. غارقين في حب جارف.

تجمّعت حبّات الدنيا طوفانا..

حملت السيارة الى الوادي السحيق..

استغاث الحب..

كان الطوفان دون أذن.. دون عين.. دون وعي..

وحش.. العدوان في عينيه صريح..

جرف كل من اعترض الطريق..

قفز الرجل.. تسلّق كتف الوادي..

نادى.. .نادى.. .نادى.. لا مجيب..

السيارة طواها موج الطوفان..

تأخذ في حضنها معشوقة.. كانت تعانق الأحلام.. ولا شئ سوى فم يملؤه الماء.. يكتم استغاثتها.. ويد ابتلعها الضباب.. تلوّح.. تأمل أن يراها مغيث..

عاد الرجل مذهولا.. يلعن الطوفان في ليلة تآمر فيها الظلام والبرق والمطر والرّعد المخيف.

دواة حبرها دمع

ملكت الحرف.. زغردت بين أناملها الكلمة.. ركع لها الخيال.. رمى جناحيه عند قدميها وطار.. أصبح للحلم عيونا.. تنام لتحلم بالصورة والكلمة.. والقصيدة ذات الجناح.. تطير بها لترى عجائب الكون وعالم المحال.

حلّت الشاعرة ضيفة غريبة على زملاء شعراء.. تفرد قصائدها على كف الصداقة والمحبة عصفورة.. تغرد الجديد من قصائد طربت لها آذان الزملاء.

إلا أن الشاعرة كانت ذات جمال ودلال.. فتن بها الشعراء .. فنسوا ما فطروا عليه من عشق للحرف والكلمة.. وعزمهم على بناء ثقافة تثري الحضارة.. لتكون بين حضارات الأمم جمال بستان.

دخل قلب الشاعرة خوف.. وهربت تنجو بنفسها من عيون لها نظرة الذئب للحمل.. وانزوت على غصن شجرة في الطرف البعيد من بستان الشعر.

ومن هناك غرّدت.. واستمعت لها أذن عشّاق الفن.. وتوّجوها ملكة على كل قلم نهل من حبر دواة فيها فن وأدب وشعر.

عشق شاعر قلمها.. وركض في فضاء عالم الشعر يجمع كل حرف وكلمة.. قصائد خبّأها القمر بين خيوط نوره.. يغازل بها النجوم.. ويطول السهر..

وتشرق الشمس.. لترى الكأس قصيدة.. والخمر كلمات.. وتعلق الشمس بالكأس.. والسماء تتوه في فضاء الكون دون شمس كفيفة.. لا ينيرها قمر..

ولا نجم.. ولا شمس .. وأصبح العيش محال.

مدّ لها الشاعر يد الصداقة.. وأخلص لكل ما خطّه قلمها من إبداع.. وبنى لها عرش الشعر.. كرسيا رصّعه بكلمات من عاج.. والتاج كان لحن قصائد اختارها من عذب الكلام.

مرت الأيام وهما صديقان حميمان.. الى أن دخل القلب مع العشرة.. عشق وغرام.. صارحها وكان أمينا.. ما عاب .. ولا خان.. ولكنها كانت لا تعشق منه سوى الإخلاص وعذب الكلام.

إلا أن الكلام ضاع عن لسان الشاعر.. وانطوى القلب على حبّه يسكن الصدر طائرا حزينا مكسور الجناح.

لا تغضبي شاعرتي.. فرغ القلم من الحبر.. وثقل الحب على القلب..

وبات لا حلّ سوى الفراق.

مظلة.. وزخّات مطر

دوّاس ليل.. يرهبه الظلام.. وبنات الليل.. وطاولات القمار.. يخشاه الليل وكل من دخل عباءة الليل وصال وجال.. اعتلى العرش ملكا.. والجنود أبناء ليل.. وقطّاع طرق.. وزعران.

خرج من الدنيا بحكمتين.. الأولى لا تأمن المرأة.. فهي ثعبان.. والثانية لا تأمن الحظ فهو طاولة قمار.. يعطيك ويأخذ منك.. وفي النهاية يرميك في ذلّ الفقر نادما تلعن الشيطان.

أحبها غانية.. تطير من طاولة الى أخرى.. فراشة صبغت جناحيها بأجمل الألوان..

ما طارت يوما الى زهرة ترشف رحيقا.. كان يعطّر نفسه قبل أن يحضر بين يديها البستان.

لوى عنقها ذاك الشقيّ.. فأصبحت له خدّاما.. نثر حولها العيون.. تعدّ عليها الخطوات.. والآذان تسمع الهمسات.. والخطأ جهنم.. ترى فيها الويلات.

ذات يوم شتاء.. البرد شديد.. والمطر زخّات.. فتحت مظلتها اتقاء شرّ البلل.. وجاء رجل.. أدخل رأسه تحت مظلتها.. يحتمي من عيون نبع تفجّر من بحر غيمات.

لا ندري هي لمعة برق.. أم عين جاسوس صوّر فأجاد .

حمل الصورة الى العشيق.. فأحضروها والقيود في اليدين والرّجلين أثقال.

بدأ التحقيق.. وأدوات التعذيب أمام عينيها عاهات.. الموت أرحم.. ولكن هل يصدّق ذلك الشقيّ.. أن الأمر كان لا يتعدى رحمة الإنسان بالإنسان؟!

سأل.. والكلام يلفح وجهها.. لهب تنّين ينفخ ناراً.

قرّب الصورة من عينيها.. من هذا الرجل.. ؟؟

أقسمت بالله والأنبياء والكتب وجميع الآيات..

ولكن هل يصدق ذلك الشقيّ.. فالحلف والأيمان لعبة الأشقياء.

أرسل الرجال عيونا تبحث عن الرجل.. تعرفوا عليه وأحضروه..

حققوا معه.. فكان الكلام مطابقا لقول المرأة.. كان الكلام وكأنه من نفس اللسان..

ولكن هل صدق الشقيّ للشّخصين كلاماً.. وهو صاحب الحكمة التي تقول:

(لا تأمن المرأة.. فهي ثعبان).

أطلق النار عليها.. وأتبع الرجل بها.. قبضت عليه الشرطة.. ودخل غياهب السجن

والسبب مظلة.. ورحمة إنسان لإنسان.

نهاية قنّاص

لم يتعرّف ثغرها على قبلة.. ولم تتكهرب الغيمات.. ولم تبرق السماء.. فالبنيّة بعد في سن الحلم.. فاللعبة ما زالت مطلباً.. والحلوى اشتهاء.. والأرجوحة جناح طير.. تحلّق به مع العصافير.. والضّحكة طرب وأجمل أغنيات.

لم تصافحها يد الحب يوما.. ولم يجتاحها سنامي تمطى عملاقا.. يوقظ حبا.. أو شهوة اشتياق.. ولم تلتق عينها بعين الحب.. وشرارة في الجسد تحرق الصبر .. وعناق الحبيب إلحاح وأمنيات.. ولم تسمع كلمات غزل.. تهرب بها الى جنّات العشق.. تعيش حياة وردية.. لها في القلب اشتياق.

هي بعد برعم.. لم تحطّ عليه فراشة.. ولا نحلة.. ولا زنبار.. فالأوراق الخضراء سرير وغطاء.. الخدّ تجرحه قطرات الندى.. ناعمة نديّة .. فيها دواء وشفاء.

رأتها عين القنّاص.. وكان شابا جميلا.. له طلّة العظماء.. له في الحب تجارب وخبرة.. ما أخطأ سهمه هدفا.. فقلب الفريسة له شهوة واشتياقا.

نصب شبكة خيوطها من نظرة عشق.. ووردة حمراء.. وقصيدة غزل.. فأين المفرّ.. هي جسد.. أما الروح فقد علقت بصنّارة الصّياد.

ما عادت الأرض سكنا لها.. هناك عند حدود القمر.. قرب بساتين النجمات.. بنى لها قصرا..

وتعرّفت على الحب.. تحت ظلّ الورد والفلّ والرّيحان.

كان لأريج العطر مفعول الخمر.. اجتاح الجسد.. دارت الدّنيا وأصبح لها ألوان.. غناء وطرب وأصبح للبنيّة جناحان.

هي ساعات.. وضمر الجناح.. وانطفأ نور القمر.. وأغمضت عينيها النجمات.

هوت البنيّة الى الأرض.. عاودتها الصّحوة.. وبدأت الدّموع تنهمر زخّات.. زخّات.

المعصية كبيرة.. وسوسة شيطان.. الجرم كبير.. والغفران بعيد المنال.

ومبدأ النّار ولا العار ولابدّ أنّه في الإنتظار.

مسح الحبيب الغادر الدّمع بباطن كف الحنان.. وعروق اليد تشهد أنه كاذب منافق دجّال.

كان هو الذئب.. وهي الحمل.. لا حيلة.. ولا اقتدار.

اطمأنّت البنيّة.. فهي البريئة.. التي في نظرها الحبيب الواعد الصادق.. باني الآمال..

لن يطول الأمر.. أيام ويضمّهما قصر الزوجية.. ويتحقّق المرام.

إلا ان الأيّام طالت.. وطال الإنتظار.. وبدأ ينهار القصر الجميل.. الذي بناه لها في الخيال في أجمل بستان.. حتى أن الشّاب نفسه أصبح خيالا.. لا تراه إلا إذا سألت .. وركضت وراءه مسافات طوال.

تهرّب منها.. طردها.. ضربها.. ولا شئ سوى جارح الكلام.. فالبنيّة أسيرة أمل للحب.. يملأ شغاف القلب.

ضمرت البنيّة.. مرضت.. شحب لونها.. ضاقت الدّنيا في عينيها..

الأمّ تسأل والبنيّة تنكر.. إلى أن فاض القلب بالعشق ذات ليلة.. بكت.. اشتدّ نحيبها.

سمعت الأمّ.. ضمّتها الى الصّدر مصدومة مقهورة، باحت الدّموع بكل ما عانته البنيّة.. نزف القلب دما.. قبل ان تنزف العين دمعة.. فالبنية ما زالت ابنة الأحلام والخيال.. ما زالت برعما يشرب الندى مع طلة الفجر.. وإذا اشتدّ الحر.. غطّتها الأم بأوراق المحبّة والحنان.

تعرّفت الأمّ على الشاب.. هو جار.. ابن أسرة سيئة السمعة شريرة.. اشتكى من شرورها الشّيطان.

في الصّباح الباكر.. وبينما كان الشاب في طريقه الى عمله.. اعترضته الأمّ.. واجهته بسوء فعلته.. ودناءة عمله.. فاعترف نادما.. شديد الإعتذار.. وأخذ يطمئنها مقسما بأغلظ الأيمان.. أنه صادق في حبه.. وستكون زوجته خلال أيام.. فوثقت به.. وعاودت الطمأنينة قلبها.. وفرحت معتقدة أن الأمور قد سوّيت.. فالله ساتر العرض توّاب.

وبعد أيام سمعت صوت زغاريد.. سألت تجامل وتفرح لفرح الجيران.. وإذا بالخبر صدمة ذعر ترتسم على وجهها.. فالمناسبة خطبة الشاب على فتاة ذات سلطان ومال.

ذهبت الأمّ إليه والشرر يتطاير من عينيها نار.. ووسوسة الشيطان ارتكاب

جريمة قتل.. لا محال.. دخل الخوف قلب الشاب.. تراجع وأخذ يختلق الأعذار.. ووعد قاطع موثّق بأغلظ الأيمان.. أنه سيفسخ الخطوبة.. وأن الزواج من ابنتها خلال أيام.. بينما كان المرض ما زال يزحف الى البنية.. وقلب الأمّ يشتعل نار.

وكلما ذهبت إليه تستعجله.. استمهلها أياما.. الى أن تمكن منها المرض والهزال..

وصعدت روحها الى السماء.. والقلب ما زال يعطيها أملا في زوج وحب وقصر وحياة استقرار، سمع الشاب الخبر.. وفرّ هاربا من بيته.. وذهب يسكن في حيّ آخر.

سألت الأمّ.. والثأر في الصّدر نار.. والإنفجار بركان.. الى أن حصلت على العنوان..

وكان هو نفس اليوم الذي سيزف فيه عريساً، وصلت الى العنوان.. حفلة.. والأنوار ألوان.. رقص وغناء وزغاريد.. والفرحة تملأ قلب العروسة والعريس، شقّت لنفسها طريقا بين الحضور.. وصلت الى العريس وأطلقت عليه النّار.

حلم طفلة

هيا يا أبي نصعد الجبل.. نستحم بضوء القمر.. نصنع أرجوحة من خيوط النّجمات..

نطير.. نطير.. نطير فوق السّحاب.. نسبق العنقاء.. ذات الجناح القويّ الكبير.

وأخذت تقفز كالفراشة.. تحاول أن تمسك بخيط نور.

كان القمر في تلك الليلة بدرا.. مكتمل الظهور.. يحمل على شعاع نوره النعاس.. مليء بالأماني والأحلام.. غفت عين الصغيرة.. نامت في حضن أبيها.. أهداها القمر حلماً عجيباً..

جناح فراشة.. فرحت ودخلت البساتين.. لوّنت خدّها بلون الورد الأحمر الجميل.. وارتدت فستاناً من بتلات الزهور.. وفرحت بشهقات الصّديقات مأخوذات مندهشات.. الله ما أجملك «نسرين».. فرحت وزارت كل البساتين.. وعادت تحمل العطر.. تمرّ به على الصّديقات والمقربين.. أنعشت رائحة العطر الحاضرين.. الله ما أجمل رائحة عطرك «نسرين».

جاء الصباح أخذت الأمّ تهزها في السرير.. هيا جاء موعد المدرسة يا «نسرين».

هيا انهضي بدّلي ملابسك وافتحي الشبابيك.. الفراش مبتل.. والرائحة كريهة تزكم الأنوف.

فتحت الصغيرة عينيها لا تعرف من تصدّق .. الحلم ورائحة العطر الجميل.. أم أمّها وملابس نومها والفراش المبلول.

غفت عين القمر.. خافت النجمات

هل حقا أن الشمس سفينة.. يبتلعها موج البحر في كل يوم ساعة غروب..؟؟ ولمن النّصر في النّهاية.. للبحر ذلك الجبّار.. أم للشّمس التي لم تيأس.. ولم تستسلم.. وتعود لتجدّد نشاطها والأمل يحذوها أن تفرح بالنصر ذات يوم.. وليس في الدنيا محال.. ؟؟

عرس في السماء.. أيقظ الكون من ثبات.. طال فيه الليل.. وانتشرت الفرحة.. وعلا صوت الغناء والزغاريد.. كل نجمة تطلّ من مدارها.. تفرك عينيها.. فالنعاس ما زال ملء الجفون.. وعلامة السؤال ما زالت مرسومة على الوجوه.

ماذا حصل في الكون.. فالليل ما زال سيد الكون.. والظلام ما زال عميقا كثيفا.

قطع صوت القمر السكون.. يزف البشرى للكون:

ماتت الشمس أنا الملك.. ولا نور في هذا الكون سوى نوري أنا.. وإلا بات الكون يعمه ظلامٌ كثيف.

كان القمر مختبئا خلف الأفق.. يتابع حربا بين الشمس والغروب.. كان القتال فيه عنيفا.. طاشت فيه الدماء.. ولطّخت الأفق بلون الشفق الحزين.. لم تغفل عيناه لحظة حتى ألقت عتمة الليل قرص الشمس على سطح البحر قتيلا.

غرقت الشمس.. واشتعل البحر.. وانتهى كل شئ .. وأصبحت أنا القمر للضوء في هذا الكون وريثا... فرحت النجوم.. واشتركت مع القمر.. رقصت وغنّت.. وعلا صوتها بالتهليل والتكبير والغناء والزغاريد.

كان حرّ الشمس عليها شديدا.. امتدت الفرحة حتى الفجر.. والقمر ملك يتلقّى التّهاني.. فما من أحد يتمنّى أن يعيش ابن ليل كالخفافيش كفيف.

سمعت الشمس.. ووصل أذنها الفرح والغناء والزغاريد.. وكانت الدنيا قد تهيأت لاستقبال الفجر.. فأرسلت الشمس خيط نور من شعاعها للكون.

انتبه القمر.. وكل من كان له في الفرحة شريك.

دخل الخوف قلب القمر.. وقطعت النّجمات الزّيارة.. وفرّت كل نجمة الى مدارها والخوف يسكنها... أما القمر.. فأغمض عينه.. وتدثّر بالغيم الكثيف مذعورا.. فعقاب الشّمس شديد.

هناك في الطّرف البعيد من الدّنيا.. عند ملتقى أخر حدود السّماء.. مع سطح ماء البحر.. تغطس الشمس تغسل شقاء تعب يومها.. وتطل مع الفجر تتّكيء على سطح ماء البحر.. تمسك بطرف السّماء.. تتعلّق بخيوطها.. وتواصل الدرب حرة نشيطة متفائلة.. لم يدخل قلبها يأس .. ولا أورثها التّعب تخاذلا.. أو اشتكت من طول طريق.. كأنها المولود الجديد.. الدّم يجري في عروقها فتيّ جديد نشيط.

وياه.. يا هالدّنيا

صال وجال.. وكان له شأن في عالم الرّجال.. جمع المال أكواما.. ونال شرف لقب بندر التّجار... ماتت الزوجة.. وكان قد رزقه الله بالإبنة والولد...حرّم على نفسه النّساء.. وعاشوا أسرة فيها تضحية وحبّ وحنان.. جاء نصيب البنيّة وكان الرّجل مغتربا.. عاد به الشّوق الى البلاد.. أرض الزّيتون واللوز والبرتقال.. وكان الطّلب زوجة تقف الى جانبه.. وتعينه على حياة الإغتراب.

شاءت الظّروف وتعرف على الفتاة.. لكنها اعتذرت وشرحت الأسباب:

– بلد الخاطب بعيدة.. من يرعاك يا أبي.. ؟؟ أخاف عليك غدر الزّمان.. وسوء الحال.

قال الأب والكلام يقطر محبة وحنان: هيا يا ابنتي.. توكلي على الله.. ما زلت شباب.

تزوّجيه يا ابنتي وابني لك عشا.. وأكثري من الأولاد.. فخطيبك فاضل فيه خصال الكرام.

تزوجت البنيّة.. ولكن قبل سفرها بأيام.. نظر الوالد الى المال فوجده كثيرا ما شاء الله.. قرّبه من أنفه.. اشتم رائحة عرق وتعب وشقاء الأيام.. فحدّثته النّفس.. ووسوس له الشّيطان:

غداً سيذهب جزء من هذا المال الى الغريب.. إلى من ليس له حق فيه.

ذات ليلة اجتمعت الأسرة.. وكان الأب قد اتخذ قرارا:

يا ولدي كتبت لك جميع المال.. احرص عليه.. ففيه شقائي وتعبي.. لا تسرف.. فالزمان غدّار... شهقت البنيّة مندهشة:

وأنا.. أنا يا أبي..؟؟

قال الأب: ما تعوّدنا أن نورّث الغريب يا ابنتي.

تزوجت البنيّة وغادرت البلاد مع زوجها الى أمريكا... مرّت الأيّام .. فرح الولد بالمال.. لكن المرض فاجأ الأب وتغيّرت الأحوال.. ضاق صدر الولد بأبيه.. فوضعه في دار للمسنين.. يدفع المال ولا يزوره إلا بين حين وحين.. تلقت البنيّة خبر مرض أبيها بحنان الولد البار.. حضرت في أول طائرة.. اطلعت على حال أبيها.. دمعت عيناها وأنكرت عقوق أخيها.

لكن الأمل دخل قلبها حين أعلمها الطبيب أن الأمل كبير في شفاء أبيها.

ومن فورها أخرجت أباها من دار المسنين.. تعتني به في بيت العائلة.. حضنته بنفس الحنان الذي عاشت فيه تحت جناحه يوم أن عوضها عن حنان الأمّ أيضا.

بينما بعد الأخ عن أخته وأبيه.. وأغراه العمل في فرنسا.. واستقر هناك مع زوجته..

وقد منّ الله عليه بوريث يشبه جدّه.

شفي الأب.. وعادت له ذاكرته.. وانتعشت صحته.

وكان أن طالت غيبة الزوجة عن بيتها ترعى أباها.. فملّ الزوج الإنتظار.. وأغضبه العصيان.. وعدم الطاعة ورجوعها الى بيتها.. فأرسل لها ورقة طلاقها عن طريق السفارة.. فتقبّلت الأمر.. وارتضت أن تقابل ربها ابنة بارة بوالدها.

في ساعة صفاء.. بينما كانت يد الأب تداعب رزمة مفاتيح.. والقلب مليء بالفرحة.. أشار الأب لإبنته الى لوحة معلّقة على الحائط:

– ارفعي اللوحة يا ابنتي.. تجدين صندوقا سريّا مخفيّا داخل الحائط.. قدّم لها مفتاحا.. افتحي الصّندوق واحضري كل ما في داخله.

امتثلت البنيّة للأمر.. وعادت بكنز ذهب.. ومصاغ فيه الماس والذهب كانت تتزيّن به أمّها.

مسح الأب دمعة.. كل هذا لك.. ما أسعدني بك.. رحم الله من أورثتك حبّها وعطفها وحنانها..

سمع الولد بالخبر.. وكانت زوجته قد توفّيت بحادثة طرق.. وعاد ذليلا يلثم يد أبيه.. و معه ولده الصّغير الذي يشبه جدّه.

طرد الأب ولده.. بينما كان الحفيد مستمتعا بالدفء داخل عباءة جدّه:

– أين ستذهب به دون أم.. أو بيت.. اتركه لي.

وعاش الطفل في حضن جدّه وعمّته.

دجاجتان وديك

المكان مزرعة شاسعة واسعة.. يسيطر عليها ديك.. قويّ الجسد.. حاد المخلب.. والمنقار منقار صقر جارح.. له الجرأة أن يهاجم القطط والكلاب.. وكل غريب يدخل المزرعة.. حتى أن صاحب المزرعة يهابه ويحسب له حسابا.. خصوصا عندما كان يقترب من إحدى زوجتيه.. فهو الغيور على الحريم.. أو ساعة أن يمدّ يده داخل بيت الديك ليأخذ البيض.. فهو الحريص على البيض والتّفريخ.

كان جميلا.. رشيقا.. يعتني بأناقته.. عالي الصوت.. نافش الريش.. إذا لفتت نظره دجاجة جميلة.. دائما كان هو العريس.

كانت إحدى زوجتيه مهملة بنفسها.. سمينة.. ثقيلة الخطوة.. منتوفة الريش.. لكنها كانت ربة بيت مخلصة صالحة.. لا همّ لها سوى نيل رضا زوجها.. وبيتها.. وكثرة التفريخ.. كانت تبيض له في كل يوم بيضة.. وأحيانا تجتهد أن تبيض له بيضة في الصّباح.. وأخرى في المساء.. خلّفت له مملكة وجيشا يُحسب له حسابا.. يتباهى بهما.. يقفز على ظهر القفص الكبير العالي.. يجول بنظره يمينا وشمالا.. فيرى زوجتيه ومئات الدّيوك والدّجاجات حوله.. والأرض شاسعة واسعة تحت سيطرته.. يضربه الغرور فيفرد جناحيه.. وينفش ريشه.

ويرفع عقيرته والصّوت يعلو (أنا الملك).

أما الزوجة الثانية.. فما كان لها من همّ سوى تجميل ريشها.. يلمع في عين الشّمس.. ورشاقة قوامها والمحافظة على حجمها وشكلها.. ونعومة صوتها.. وعرض مفاتنها فيجنّ بها الديك.. يتفنّن في مغازلتها.. ليس سائلا عن بيض.. أو طاعة أو عمل.. أوذريّة منها.. كان يتباهى بها أمام الدّيوك الأخرى.. دائما نافشا ريشه يلفّ ويدور حولها.. ينكش الأرض ويبحث عن الحب هدية لها.. غافلا عن مركزه وهيبته أمام زوجته وفراخه.. وديوك المزارع الأخرى.

مسحت الزّوجة الجميلة من ذاكرته البيت والزوجة والفراخ والبيض.. واعتلت عرش قلبه.. وما عاد يدري ما يدور حوله في هذه الدّنيا.

ضاقت الزوجة وفراخها ذرعا باستهتاره.. وما آل إليه حاله من ضعف وذبول في الصّحة والشّخصية.. والفوضى التي سادت مملكته.. فتآمرت عليه مع أولادها ونحّوه عن العرش عنوة.. ونصّبت أحد أبنائها ديكا قويا يدير المملكة.. وحجروا على الأب وزوجته الجميلة في قفص.. وأبعدوه عن الملك.. حينها شعر الدّيك بخطئه.. قهره الندم.. وأخذ يلوم زوجته.. طال لسانه عليها شتما.. ويده ضرباً.

أما العذاب الأكبر.. فكان حين عرّاها ونتف عنها ريشها الجميل.. وكان يجبرها أن تقف أمام المرآة ساعات عارية بشعة.. تنظر الى نفسها.. حتى عافت حياتها وماتت هما وقهرا.

أما الزّوجة الأمّ فاعتلت العرش ملكة.

زلّة لسان

شاب وفتاة.. زميلان في شركة.. كانت عين الحب لهما بالمرصاد.. تعب القوس.. وما عاد الهدف يحتمل مزيدا من السّهام.

تنهد كيوبيد "إله الحب".. الحسرة والحب يدقّ جدار قلب الزميلين.. لكنه الخوف.. أو الخجل والحياء.. كمّامة على الفم.. والصّدر ما عاد يحتمل مزيدا من الآهات والأنّات.

ما انفرد أحد الزّميلين بنفسه.. إلا وكان الزّميل الآخر رفيق درب.. في النّهار يسير الى جانبه خيال الظلّ.. أما في الليل فهو زائر الأحلام.

حتى فنجان القهوة أو الشاي.. كانت الزّميلة ترى وجه الزميل مرسوما على صفحة الفنجان.. جميلة بدقة وإتقان.. وكذلك الشاب كان ينظر الى صفحة فنجانه باشتياق وإعجاب.

لم ييأس إله الحب كيوبيد من كلمة تقف على حدود لسان الزّميلين.

كان الزميلان حريصين.. كل منهما ينتظر الآخر حتى يبدأ بالسّلام.

تجرأ الشّاب.. وكان لطيفا خفيف الظلّ.. حصيف اللسان.. نادى على زميلته.. والصوت مليء بالإستغراب:

– ما الذي جاء بصورتك على صفحة فنجان الشاي..؟؟ انظري حتى

انه مرسوم بالألوان.

ضحكت.. وذهبت من فورها تحضر فنجان شايها:

- بل ما الذي جاء برسمك أنت على صفحة فنجاني.

ضحكا معا.. وجلست الى جواره تحتسي فنجان الشاي... لكنها كانت بداية معرفة.. وبداية حياة.. قال يداعبها:

أصدقيني القول.. هل ترين هذه الصورة على سطح فنجان الشّاي فقط..؟؟

اعتلى الوجنتين ورد أحمر.. ولمعت العينان.. وتلعثم اللسان.

قال الشاب فرحا:

- كفى .. شكرا.. لا أريد أن أسمع أكثر.. لقد رأيت وسمعت أعظم دليل واعتراف.

قالت مندهشة : أنا لم أتكلّم بعد.

قال: لمعة العين.. واحمرار الخدّ.. ولعثمة اللسان.. أليست دليلا واعترافا.

قالت وقد لمعت في عينيها ومضة خبث: لا أفهم.. كل هذا اعتراف على ماذا..؟؟

قال: دليلي أن الرسم الذي يطفو على سطح فنجان الشاي.. هو نفسه الذي يزورك في الليل ضيفا.. يتمطّى حبيبا ينام على رمش العين.. له الحبّ والإحترام والدّلال.

قالت تحبطه وتتظاهر أنه لا يهمها أمره:

– والله ما نام أحد على رمشي.. ولا دخل أحد بؤبؤ العين.

إنما هي أوهام وأحلام مراهقين.. استيقظ أيها الزميل.. لقد زاد عمرك على الثلاثين..

لا تحاول.. فللقلب أقفال.. وحرّاس أقوياء أشداء... كم حاول غزاة الحب اقتحام هذا القلب.. ولكنهم ارتدوا خائبين.. تعساء.

قال: حسنا سآتي الليلة بصحبة أبي وأمي.. غزاة لهذا القلب الحصين المتين.. علّي أفوز وأكون من الفاتحين.

طار بها الفرح.. وسرح بها الخيال لحظة.. ترى نفسها تلبس الفستان الأبيض.. وهذا الشاب الجميل هو العريس.. قالت:

سأسقي الحرس خمرا حتى الثمالة.. ستجدهم نائمين.. والباب مفتوح على مصراعيه

وأهلا بكم أحباء وليس غزاة.

فرحت بهما الدّنيا.. وطارت أسهم الحب تضئ السّماء.. وزغرد كيوبيد لأنه أصاب وما خاب.

الى أن جاء يوم اشتد فيه الخصام بين الزوجين.

غضب الزوج غضبا شديدا.. شتم ولعن وضرب.. وكان بذيء اللسان... استفزت الإهانة الزوجة.. وكانت أصيلة حرة.. ذات حسب ونسب.. وجاه ومال ورجال... ارتدّت الى بيت أبيها.. وكان العزم تصميما على الطلاق.. فالحرّة لا تسمح لكرامتها أن تمسّ أو تهان.

اعتذر الرّجل.. والندم لحوح.. والتوبة صادقة.. والله غافر الذّنب توّاب.

لكنها رفضت الإعتذار.. كانت حرة.. داست كرامتها على حب القلب بإباء وشمم.

إلا ان القلب كان قد رقّ بعد توسل وإلحاح.. ولكن كان هناك شرط..

ساد سكون.. وصاخت الآذان... قال كبير جاهة الخير والإصلاح:

– هات يا ابنتي.. كلنا آذان.

شرطي أن يقطع اللسان الذي أهان كرامتي.. ونال أهلي ببذيء الكلام.

صخب الديوان واستنكر الرجال.. الطلب مجحف.. فوق طاقة أيّ إنسان... انتقل الخبر الى الزوج.. الذي كان الحب قد أعمى بصره وبصيرتة... فذهب من فوره وبيده سكين.. وأمام الجميع بتر جزءا من ٱللسان... بعدها عادت الزوجة الى بيت زوجها.. وكانت الأمور على ما يرام.... لكنّها بعد مدة ضاق بها الحال.. لقد افتقدت اللسان الذي كان فيه تغريد العصافير.. وغزل الحمام.. والعشق والدلال.. فاكتأبت.. وساء بها الحال... ملّت كلام الإشارة والطاعة العمياء.. فللغزل وحديث اللسان حب وحنين واشتياق... فعادت تطلب الطّلاق.. حصلت عليه.. وتمّ الفراق.

كان الشّاب غنياً.. والمال أكوام.. طلب الحلال فجاءته الفتيات من كل حدب وصوب.. أشكالا وألوانا.. فللمال سلطان..غطّى على عيب اللسان.... لكنه رفض جميع الفتيات... واختار فتاة خرساء.. دون لسان.

شبّاك الجارة

جميلة.. فاتنة.. شهيّة.. قالوا فيها القصائد.. ورسموا لها في القلب لوحات.. غنج ضحكتها طرب أغنيات.. طلّة عينيها قمر العاشقين.. له في عتمة زوايا الليل أنّات وآهات.. صوتها عصفور فرّ من قفص الأسر.. وانطلق يشدو أغنيات.. في مشيتها.. كانت قلوب العاشقين.. تتناغم مع دلال الخطوات.

ركع الغرور تحت قدميها يتوّجها ملكة للجمال والإغراء.. عاشت هذا الردح من الزمن مهرة.. ما رأت فارسا يستحق أن يكون لها خيّالا... هو جار شاب.. الشباك أمام الشباك.. له الشخصيّة والوسامة والمركز والكمال.. تشتهيه أيّ فتاة زوجا.. ورب أسرة.. وبيت استقرار.

لكنه ليس من زمرة الأغنياء.. كان شابا كريما.. عفيف النفس.. مستور الحال..

تقدّم يطلب يدها.. رفضته.. وتركت في القلب غصة.. وأحزانا وآلاما.. ودخلت النفس في زوايا الكآبة والحرمان.. فأوحى له العشق بجراة الأفكار.

رمى من الشباك الى الشباك رسالة.. مزّقتها أمام عينيه.. ورمتها فتيتات.. حملها الريح

الى المجهول.. الى قعر البحر.. الى زوايا الظلام.. الى بيت الخفافيش.. تقرأها الأم قصيدة

للفراخ قبل أن تنام.

لم ييأس.. عاد وشحنه العشق بدفقة جرأة وأمل حياة.. رمى لها من الشباك

وردة حمراء.. داستها بالقدم.. وأورثت القلب حسرة.. ويأسا.

عاشت الفتاة مع الغرور.. ولهو الحياة أيام.. لا تسع الدنيا فرحتها.. كأنها الطير لها جناحان.

لكنها كانت في غفلة عن الزمان.. الذي سكن الشعر وبدّل الأبيض بالأسود.. فاختلطت الألوان والذي سكن العين وأصبح النظر دون نظارة محال.. ودخل الجبين والخد والعنق.. فأورث حفرا وترهّلات.

لطمت على خديها .. ماذا فعلت بي يا زمن الأذى والإحباط.. لا بيت.. ولا ولد.. ولا زوج يحمل عني عبء الحياة.. ؟؟

فتحت الشباك.. رأت شباك الجار مقفلا.. يسكنه عنكبوت.. وعشّ حمام... رمت الشباك بحصاة.. هرب العنكبوت.. وطار الحمام.. وطلّ الجار.. شهقت.. هالها أن تجد مثل حالها فالجار كهل.. أين ذهب الشباب؟ كيف تبدّل الحال؟

رسمت على الشفة بسمة.. كيف الحال يا جار.. ؟؟

قال.. وقد اشرق الوجه:

– صباح الخير.. صباح الجمال .

ضحكت.. قارنت بين تحية الأمس حين كان شابا مقبلا على الحياة، وتحية اليوم وهو كهل.. شابَ منه حتى الكلام... قالت واللهجة يلونها الحياء:

– ألم تتزوج بعد يا جار..؟؟

تنهد تنهيدة طويلة فيها وجع ماضي السنين وقال:

- كيف وقد سبق اليمين.. إما أن تكونين أنت الزوجة أو الصبر عازباً مدى ما أعطاني الله من العمر سنين.

انطلقت آهة من عمق صدرها وقالت :

- ياآآآآآه ركض بنا العمر يا جار.

قال وقد استيقظ العشق في قلبه:

- لكنك ما زلت جميلة.. وتابع الكلام كأنه يتخلص من عبء ثقيل عذّبه سنين وأياما:

- هل تقبلين بي زوجا..؟؟

اعتلى الوجه خجل العذارى.. إلا أنها قبل أن تقفل الشّباك رمته بوردة حمراء.

تزوجا.. مضت الأيام وقلب الزوج في حيرة وعذاب.. يرفضها بشدة.. ليست هذه الفتاة التي أحبها.. وتركت على جدار القلب وشم نار عشق وغرام... ليست هذه نفس العين التي كان يتوه فيها العقل بين الرأس والرجلين.. ولا نفس شعر فيه سواد الليل.. ولا رنّة الضّحكة.. ولا جمال الخطوة.

وكذلك الزّوجة.. علا صوت القلب في الصدر معذبا.. ليس هذا الرجل الذي أحببت...أين الوسامة؟ أين الرجولة؟ أين العشق الذي كان في العين؟

يا إلهي لقد وقعت في شرك التزوير.. كان للذي أحببته شعر.. ولمعة حب في العين.. وغيرة ذكر الحمام.. ولسان شاعر.. وقوة حصان...اختلف الأمس مع اليوم.. هذا شروق.. وذاك غروب.. كيف يلتقيان..؟؟

اشتدّ الخلاف وتمّ الفراق.. وكسر كل منهما المرآة.. وعاد يتمترس خلف شباكه.. يصطاد من الماضي أجمل الذكريات.

عباءة جدّي

عباءة جدّي الحصن الحصين.. والملاذ الأمين.. الذي كنت أهرب إليه وألوذ به.. ساعة أن أرتكب ذنبا.. وما كان أكثرها ذنوبي.

كنت الحفيد الوحيد لجدّي.. وكانت السّلطة له كاملة على البيت.. ومن فيه.

كما أنه كان دائما هو مصدر قوتي.. وحصن حمايتي.. به ألوذ وأحتمي... كان يسمح بكل شئ .. إلا أن تنالني يد أبي أو أمّي بالضرب.. أو باللسان وجارح الكلام.. كانت تقوم الدنيا ولا تقعد.. صوته يرجّ الدار.. شتما ولعنا.. وأحيانا يرفع العصا مهددا.. فيخفت صوت أبي وأمّي.. إتقاء شر غضبه.. يغضّون النظر مكرهين مجبرين عن سوء أفعالي.. وشرّ أعمالي.

كنت أتمتع بأعمال الشرّ والأذى.. لمجرد أن أهرب وأدخل عباءة جدي.. وتزيد فرحتي عندما اسمعه يضرب ويشتم ويهدّد كل من أساء لي.. أو لم يغفر لي وقاحتي.. وبذاءة لساني.

كان في عطفه وحنانه وحبه وكرمه.. ما جعله أقرب الى قلبي من أبي وأمي.

ما بعد عني يوما.. ولا طاق لي فراقا.. دوما معا.. أينما سار أمسك بذيل عباءته.. سعيدا راضي النفس.. أحمل كل ما اشتهته نفسي.

ضاق بي صدر جدّتي.. كنت في أغلب الليالي أشاركهما الفراش.. خصوصا عندما يكون الذنب كبيرا.. خوفا من أن تنالني يد أمّي.. أو أبي... فكانت

دائما قبل أن تغفو عيناي تهزّني.. وتحاول أن تسحبني من داخل عباءة جدي:

– هيا اذهب الي غرفة أبيك وأمّك.

كان مثل هذا الكلام يغضب جدّي.. فيسمعها من الكلام ما لا يرضيها.. وأحيانا تدمع عيناها فتثور وتصرخ في وجهه:

– الولد يبلّل الفراش.. ونحن في فصل الشتاء.. لا شمس تجفّفه.. دعه يذهب الى أمّه وأبيه.. فهما أولى به.. يؤدّبانه ويعلمانه.. أفسدت الولد سامحك الله.

أمّا الجدّ فكان لا يكترث بما تقوله.. لا أذن تسمع .. ولا عقل يستوعب.. تأخذ نصيبها من قاسي الكلام.. دون تأفف أو اعتراض.. تعرف حدودها.. لا زيادة ولا نقصان في الكلام.

أما أنا فكنت أطلّ برأسي من داخل عباءة جدّي شامتا.. يدغدغني الدفء وينعشني.. أجيبها بوقاحة.. مدعوما بحماية جدّي:

– أحبّ جدّي.. وعباءة جدّي بيتي.

فتتمتم باللعنات والشتائم دون أن ترفع صوتها خوفا منه.

أمّا أنا فأحظي بضمة حنان.. وقبلة تشجيع.. إن أغلظ عليها بالكلام.

فيقول والسعادة تملأ قلبه:

– خرفت جدّتك.. انسها.. ولا تستمع إلى كلامها.

ثم يكافئني بحبة كستناء.. يأخذها عن نار الكانون.. تلسع يديه.. ينفخ عليها

حتى تبرد ويطعمني.. أو يسخّن قطعة خبز.. يغمسها بالزيت والزعتر ويطعمني.

الى أن أنام وتغفو عيناي.. فيحملني الى الفراش أنام الى جواره حاجزا بينه وبين جدتي.

الى أن كبرت وأصبح لي رأي.. حملت فراشي من غرفة أبي وأمّي، ورحلت الى غرفة جدّي وجدّتي... حيث الحنان.. وأشهى الطعام.. والكرم والدلال.. حتى كاد أبي وأمّي أن يكونا غرباء عني.

مرت الأيام وزاد العمر سنوات.. وأصبح لي طلبات.. وما تعوّدت أن أشتهي شيئا..دون أن أحصل عليه.. فمددت يدي الى محفظة أبي.. وعندما تكرر الحدث مرات انتبه أبي ..وما كان أبي يجرؤ أن يتهمني بمثل هذه التهمة دون إثبات خوفا من جدّي.. فنام تلك الليلة بعين واحدة.. أمّا الأخرى فانقضت تمسك بيدي.. أختلس بعض النّقود وأدسّها في جيبي.

غضب أبي.. ثار وشتم ولعن.. وعلا صوته فسمعه جدّي.. دخل الغرفة مستغربا يسأل:

– ما الأمر يا ولدي.. حتى علا صوتك يسمعه الجيران..؟؟

قال والغضب يرج صوته: حفيدك حرامي يا أبي.

كان وجود الجدّ داعما للحفيد.. فتجرّأ وعلا صوته ينكر ويتظلّم.. ويقسم أغلظ الأيمان أنّها تهمة هو منها براء.. لا تليق به وبتربيته وأخلاقه التي ورثها عن جدّه.

علا صوت الجدّ غاضبا يشتم ويلعن ويهدّد مؤيدا حفيده.. متهجما على ولده.. لا يسمح له أن يرفع يده على حفيده.. أو يؤنبه بكلمة جارحة.

اختصر الأب الحديث.. وأنهى المشكلة.. خوفا على سمعة ولده.. فالتهمة كانت صعبة.. أفقدت الجد عقله.

مضت الأيام .. واحتاج نقودا.. فلم يجد مفرا من أن يمدّ يده على محفظة جدّه، فانتبه الجدّ..ولكنه كتم الأمر.. وجعله سرا.. حرصا على سمعة حفيده.

ضاقت الدنيا في وجه الحفيد.. فلم يجد بدا من أن ينضم الى عصابة احترفت السرقة، ذاع صيت الولد.. وساءت سمعته.. وأصبح مشبوها معروفا في وسط مجتمعه.. استاء الناس منه.. وكثرت الشكاوي عليه.. فاحتار الأب والجدّ بأمره.

وكان قد انغمس في الرذيلة وانتهى الأمر.. وما عاد له مرجعا.. إلى أن اقتحم ذات ليلة أحد المنازل.. وكان من سوء حظه أن استيقظ أصحاب المنزل... تعرفوا عليه.. وحاولوا أن يمسكوا به.. لكنه تمكن من الهرب.. والتجأ الى مكان بعيد، مهجور في طرف المدينة.. ولم يجد بدا من الإتصال بجدّه.. الحصن الحصين.. والملاذ الأمين.. كاتم سره.. اتصل به يطلب نقودا.. وبعض ما يحتاج إليه في فترة تشرده... لم تمض ساعة.. حتى اقتحمت الشرطة المكان.. أمسكت بالحفيد.. وكان الجدّ الدليل.

عزيزي القبطان

هو قبطان طائرة.. وهي حبيبة القبطان.

علا صوت الخصام بينهما.. تكفر بالمنظر والمظهر.. والزّيف الذي يخفي خلفه خادعا الناس:

قالت والقهر يذرف الدمع غزيرا من عينيها:

ما عاد يأسرني المظهر.. ومنظر ملابس القبطان.. ولا الهدايا والتحف تقدمها لي أشكالا وألوانا.. ولا الفضاء سكنا أعيش فيه منزلا.. معلقا بين الأرض والسماء.

أيها القبطان أنا أعيش الخوف.. أما آن لك أن تفهم أنني أنثى.. أحنّ الى الثبات والإستقرار.. زوج وبيت وأمّ وأطفال.

قال يمتص ثورة غضبها برقيق عذب الكلام:

قليل من الصبر حبيبتي.. أحقق لك كل ما تشتهيه النفس.. ونعيش الحياة حبا وراحة واستقرارا.

فردت شعرها بعصبيّة:

- متى.. متى.. وقد بدأ الشيب يغزو الشعر.. والوجه تعلوه التجاعيد.. والسواد تحت العين ظلام..؟؟

ثم واصلت الحديث والصوت فيه تودد ولين:

- اخلع عنك بدلة القبطان حبيبي.. وانس جناح الطير.. نعيش على الأرض.. في بيت فيه الأمان والإستقرار.. بعيدا عن الخوف والقلق والخطر.. يعبث بأوتار القلب.. ويفتك بالأعصاب.

قال والعناد ما زال يلبس كلماته:

- لا تطلبي المستحيل حبيبتي.. من هذا الذي يرزقه الله جناحين.. ويبدلهما على الأرض بخطوات..؟؟ بالجناحين أطوف الدنيا.. أصل حدّ الشمس.. أزور القمر والنجمات.. وكل بعيد عن الناس أصله في لحظات.

قالت والغضب يتملكها:

- إذا من هنا نفترق حبيبي.. لك حياتك.. ولي حياة.

قال والحزن يقطر من كلماته:

- هذا قرار فيه موتي.

قالت: بل هذا قرار أطلب لك فيه طول عمر وحياة.. ولك ان تختار.. إما أنا.. أو الجناحين وبدلة القبطان.

ثم واصلت الحديث والغضب ثورة:

- تريدني حبيبة ولا ترديني زوجة..؟؟ تخلّ عن بدلة القبطان أرجوك.. وستجدني العروس التي تحبك ودوما لك تشتاق.

قال غاضبا:

- حبي لك يمنعني الزواج منك.. أنا طيّار.. حياتي محفوفة بالأخطار.. اسمي دائما في مقدمة قائمة الموت.. بعدها ستعيشين أرملة.. مع الوحدة تملؤها الأحزان.

مرت الأيام .. يقدم لها عجائب الدنيا.. تحفا وهدايا من جميع البلاد اشكالا وألوانا ويقف أمام بيتها ينسج من قصائد الغزل حكايا مبللة بدموع العشق أنّات وآهات موجعات.. لكن قرارها كان القرار الذي لا رجعة فيه.. الى أن جاءها ذات يوم الغراب.. يقف على حافة شبّاكها.. ينعي سقوط طائرة حبيبها... تحطّمت طائرة الحبيب على جزيرة في وسط المحيط..

ونزل البيان ينعي موت جميع من كان فيها...هي أيام.. وإذا بصوت طرقات على الباب..

فتحت الباب.. فإذا بالحبيب يقف أمامها سليما معافى.. حضنته وألصقته بالقلب تشهق بدموعها .. والصوت متهدج يقطّعه الإنفعال:

- رضيت بك زوجا.. مؤمنة بقول الله تعالى «إذا جاء أجلكم لا تستأخرون ساعة.. ولا تستقدمون» صدق الله العظيم...شرط أن نبني عشنا على الأرض.. ثم اسرح أنت في طلب الرزق.. أينما شئت.. وكيفما شئت.. المهم أن تعود الى العشّ مع المساء.. مثل جميع المخلوقات التي وهبها الله الجناح.

من أدب الفيسبوك

* لا حول ولا قوة الا بالله
* هل تعلم
* وتبخّر العلم.
* كفى أيّها الزعيم.
* ساحة الأدب.
* الله يرحم من بكّاني.

لا حول ولا قوّة إلا بالله

في أغلب الأحيان عندما أقرأ هذه الصفحة.. أتبع القراءة «بلا حول ولا قوة إلا بالله»..

لا بارك الله فيك يا هذا الفيس بوك.. الضّال المضلّل.. قلبت المعايير.. وخلطت بين الغث والسّمين..

ملأت قلب التائه عن نفسه بالغرور.. فبات ربّ الشعر والأدب والفنون.

والكفاءة.. شهادة الكذب.. وفن الكلام المعسول.

وأحبطت كل قدير جمّل الدنيا بالفن والثقافة والأدب الجميل.. وعبير أشعار البساتين.

وأطلت لسان الكذب والنفاق.. الذي أصبح لسانه بلون لسان الحرباء.

يصفّقون للرخيص.. ويضغطون على LIKE شاهد الزور للتأكيد والتثبيت..

اصحَ أخي المثقف.. فما زال في الدّنيا غربال.. يبرّ الغث من السمين.. والتائه الضّال ممّن يعرف الطّريق.

هل تعلم.. ؟؟

هل تعلم أخي صديق صفحة الفيس بوك.. أن الحمار نال لقب " أبو صابر".. زورا وبهتانا.. دون وجه حق.. حصل عليه بذكاء وتخطيط وبعد نظر.

جاع وصبر.. تعب ولم يتذمّر.. حمل أكثر من طاقته ولم يتأفّف.. مشى المسافات الطويلة مركوبا.. ولم يتضجّر.. وكانت النتيجة أن وصل الى الهدف ونال لقب "أبا صابر".

علما بأن صفحة الفيس بوك أكثر منه صبرا.. وطاعة.. وقوة احتمال.. ولها طاقة على تحمل الظلم ليلا نهارا.

هي طوع أمرك.. دون تأفف أو تذمّر.. في أي وقت ترحب بك هاشة باشة.. فاتحة لك ذراعيها.. والصدر مفتوح.. والبسمة ملء الوجه.

الحمار يحمل على ظهره أثقالا.. بينما الفيس بوك يحمل على صفحته ثقل دم وهذيان.. وفي نهاية النص يذيّل ثلة ممّن لم يقرأوا النص.. أو قرأوا سطرين منه.. أوفقرة.. ويقسمون أن هذا النص قمة الإبداع.. ويطجّون كلمة "لايك" التي هي في وزنها الفعلي أكبر وأثقل من أي وزن يحمله أجدع حمار..

لذا نرجو من الله أن ينتع هذه الصفحة بالسلامة.. ويعطيها الصبر.. ويرفع عن كاهلها ثقل الهذيان.. ومصيبة كلمة "لايك"..

وتبخّر العلم

هو كاتب أعطى فأدهش وأبدع.. كان فلاحا يغرس المحراث في عمق صفحة الكتاب والدفتر.. يستخرج عذب الكلام من باطن كتب أهملها الجاهل.. فاعتلاها الغبار.. والكنوز في داخلها نامت الدهر.. فما استفاد منها.. ولا العقل فكّر.. أو استوعب.

ملأ الدنيا بإبداعاته.. كان منارة استرشد بنورها كل طالب علم.. وتعلم منها كل من صاحبه جهل.

الى أن جاءه أهل المجاملات والنفاق وأصحاب كلمة «لايك».. وهمسوا في أذنه همس الشيطان.. ملكت زمام العلم أيها الكاتب العظيم.. ووصلت الى الطرف الآخر من بحور العلم.. وما عاد هناك أكثر. صدّق المسكين.. والكلام الجميل له وقع الطرب على الأذن..

فتخلى عن المحراث والقلم والكتاب والدفتر.. وظن أنه العالم الأكبر. وعاد غبار الجهل يعتلي كنوز العلم.. والغرور أورثه الجهل.. وانضم الرجل الى الرّبع يشرب من نبع الجهل.. وتبخّر العلم.. وعادت الأرض بورا.

كفى.. أيها الزعيم

هؤلاء الكبار.. أصحاب القرار.. الذين تربعوا على عرش الإقتصاد.. والمؤسسات الكبيرة.. والفن والأدب والشعر.. وكل مرافق الحياة.. الذين نصبوا الحبل الطويل.. يمر عليه أصحاب القلم الصغير.. الجنة على اليمين.. والنار على الشمال.. القلوب ترتجف في الصدور نار.. تفوق نار جهنم اشتعال.

ربي.. لماذا يقع في النار مبدع عزيز النفس كريم.. وينج كل جاهل دنيء النفس ذليل..؟؟
قالوا: فكّر.. استعمل عقلك.. تقع على السّر العظيم.. فقد تسلك طريق الجنة ناج أمين..

كل شئ في هذه الدنيا له ثمن.. ادفع.. فيسهل التغيير والتبديل.
دخل قلم صغير.. الريشة فيه مكسورة.. والحبر عقيم.. وضعت أذني على الباب.. ومن ثقب الباب العين ترى.. والأذن تسمع.. ويا هول ما يدور على على خشبة المسرح.. الركوع الذي لا يكون إلا لله.. رأيته صلاة ذل وأمتهان عند قدم الزعيم.. باع نفسه ذلك القلم المسكين.. ورأيته بأم عيني يمر على الشريط.. ينج بنفسه وقد دخل الجنة أمين.. دفع الضريبة.. وكان من الطائعين.. ولكن لعنة الملائكة كانت تتبعه.. دائما تذكّر أنه فاشل حقير.. فما سعد في جنة.. وما ارتاح له ضمير.

دخلت انثى ذات جمال.. فردت شعرها.. وعلت ضحكتها.... وغمزت بعينها وارتاح أكثر على كرسيّه الزعيم.
مرت على الشّريط.. ودخلت الجنّة آمنة.. ولكن لعنة الملائكة تبعتها.. أشقتها.. ما رأتها عين إلا لعنتها.. فما سعدت بجنة.. ولا حصدت ثمرا من بؤس ذل كرامتها .

كفى.. كفى.. لقد ضلّلت أناسا كثيرين أيها الزعيم.. توهمهم أن رضاءك جنة.. وغضبك نار.. وأنت تعلم والله يعلم أنك حطب جهنم. لو أنك تتعظّ.. وتعطي كل ذي حق حقه.. فقد يكون في هذا خير كثير لك.. ولمجتمعك.. ولأجيال ما زالت تظن أن بك الخير كثير.

ساحة الأدب

دخَلَت ساحة الأدب والقلم قصير.. عرضت كل ما عندها.. وكانت كلمات تحبو.. ليس لها في عالم فطاحل الأدباء.. وفحول الشعراء مكان ولا احترام ولا تقدير..

لكن كان لجمالها تأثيرا.

انطلق لسان أهل الشقاق والنفاق وأصحاب كلمة «لايك» يستجدوا الجمال.. علّه يكون لهم فيه نصيبا.. أوقدوا تحت كلماتها العجرة الفجة الهابطة نارا .. حطبها كلام إبداع واستحسان وجمال.. حتى أوهموها أنه نضج.. وما عاد يصل إليه كلام مبدع أو فنّان.. غرّوها وظنت أن الكلام داخل مرجل الصدر نضج.. وآن للأدباء والشعراء أن يتذوّقوا طعم فن جديد جميل..

نشرته على صفحات الدفاتر.. وبعثرته شمالا ويمينا.. وعندما قرأه صاحب الذوق السليم.. ردّه إليها.. بنيّتي ما زال قلمك قصيرا.. قصيرا.. قليل من الصبر.. حتى يغدو الصغير كبيرا.

ارتدت الى أهل النفاق.. واصحاب كلمة «لايك».. والعتاب لوحة على وجه عليل سقيم تسأل: لماذا..؟!! لماذا..؟!!

قالوا.. والجواب كان عجيبا:

- عذرا.. كانت مجاملة الصّديق للصّديق.

الله يرحم من بكّاني

جلس رجال التّحكيم على المنصة.. وكان الميدان يعجّ بالفرسان.. والجميع يسأل.. والكل يراهن.. الغلبة لفارس الشهباء.. هي تصهل.. والرجل مغوار فارس.

أفرغوا الساحة من العباد.. ونزل فارس الشهباء شاهرا قلمه.. كما كان عنتر في ساحة الوغى يشهر سيفه.. والصّوت رعد هادر:

-شاعر لشاعر.. عشرة لشاعر.. مئة لشاعر.. ألف لشاعر.

تحدّاه قلم لم تنغمس ريشته بعد في محبرة الفحول والفطاحل.. أوقعه عن الشهباء.. صاح.. نادى على المؤيدين والأعوان.. "لايك".. أيها "اللايكات".. اختفت اللايكات.. دمعت عين الفارس حبرا أسودا.. وخطّ على صفحة الميدان:

- الله يرحم من بكّاني.. وبكى علي.. ولا يرحم من أضحكني وضحك عليّ.

عرس في السماء

الدّنيا ظلام.. عجيبة.. سهم مشتعل في طرفه رسالة غرام.. سقط من السماء.. رفعنا البصر.. فإذا بالقمر والنجمات مختفية خلف الغيمات.. ولا شئ سوى تأوّهات وتنهّدات.

يا قمر.. يا قمر نحن سكّان الأرض..

هل تسمعنا.. ؟؟ نحن نسمعك ولا نراك.

علا صوت القمر:

ارفعوا الصوت ..

أنا والنجمات.. نزفّ عروسين.. صوت الفرحة يعمّ السماء..

والصواريخ سهام حبّ مشتعلة تضئ الفضاء.

سقط علينا سهم يا قمر.. في طرفه رسالة..

اللغة غريبة.. حروفنا من حبر.. وحروفكم من نور.

عبس القمر..

وشهقت النجمات:

إنه سهم الفرحة سامحونا أيّها الجيران..

طار من عين العريس سهم خاب أخطأ الهدف.. وما أصاب.

دهش أهل الأرض:

حسنا كيف نردّه إليكم.. وهو للعروس ذكرى وفرحة زواج..؟؟

قال القمر وفي صوته حرج:

اخفوه ولا تردّوه..

لنا عادات وتقاليد.

إذا خاب سهم العريس.. فإنه لا يستحق العروس.

دعونا نكمل السهرة.. «النبي شاف بعينه وستر بديله».

علا صوت أحد المثقفين الأدباء:

لا إله إلا الله.. الظاهر أن كلمة (لايك) وصلت حدّ السماء..

أغوت القمر والنجمات..

والعريس الخائب.. أصبح فحل الرّجال.